الدكتـــــور
محمـــد جـــلاء ادريـــس

العقيدة
أصولــها التاريخيـــة
وأسسهـــا الإسلاميـــة

١٤١٣هـ ١٩٩٢م

المركز القومى للدراسات العربية والإسلامية
"فجـــر"
٩ شـارع همـــدان ـ الجيـــزة
٧٣٧٠٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

"قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء
بيننا وبينكم الا نعبد الا اله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون"

صدق الله العظيم

آل عمران: ٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا للاسلام دينا، وانعم علينا بالرسول صلى الله عليه وسلم إماما، وانزل لنا القرآن وحفظه لنا ليكون للعالمين مرشدا، وللحق هاديا، وللنعيم موصلا ومن الجحيم واقيا.

فقد شاءت ارادة الله تعالى أن أطلع على عقائد اليهود دراسة وثقافة، وكنت كلما قرأت فى كتبهم ازددت إيمانا بدينى وتمسكا باسلامى. فلا يعلم قيمة الصحة إلا من عانى المرض، ولا يعلم قدر السعادة الا من قاسى العذاب والهوان، ولا يعلم قدر دينه الا من اطلع على ديانات وعقائد الآخرين.

وقد جالت فى ذهنى تساؤلات حول العديد من القضايا العقيدية البحتة وموقف الإسلام منها وموقف عقائد أهل الكتاب: يهود ونصارى، فرحت أبحث فى كتبهم لبيان موقف نصوصهم المقدسة من قضايا هامة كالتوحيد والأنبياء واليوم الآخر، بهدف توضيح هذه الجوانب دون الدخول إلى دوامة الاختلافات المذهبية والتعقيدات الكهنوتية، ومعتمدا على المفهوم الواضح للنصوص دون محاولة لتحميلها أكثر مما تحتمل، أو اخفاء ماتوحى به لغرض فى النفس. فأقصر الطرق للإقناع هو إظهار الحق باسلوب مبسط خال من التعقيد أو استخدام مصطلحات وتعبيرات تفوق مستوى القارىء البسيط الذى لم يعد لديه من الوقت مايسمح له بالتعمق فى الكتب القديمة التى يصعب عليه فى كثير من الاحيان فهم لغتها ومضمونها.

وبناء على ذلك قمت بهذه الدراسة مبينا فى بدايتها نشأة العقيدة وفكرة الدين ومراحلها، فهى مقدمات لابد منها لفهم مايليها من قضايا.

ثم عرضت لثلاث من القضايا العقيدية الهامة عند كل من المسلمين وأهل الكتاب، وهى قضية التوحيد، إذ بدونها لا تستقيم العقيدة، وقضية النبوة، وهى مكملة للجانب التوحيدى فى بيان استقامة العقيدة أو انحرافها ثم قضية اليوم الآخر متضمنة قضايا فرعية مرتبطة بها وهى الموت والبرزخ والبعث والقيامة.

وهناك قضايا أخرى ينبغى أن توضح وتقارن، وقد يكون لذلك مقام آخر، نسأل الله تعالى أن يعيننا على اتمامه.

ولاشك أنه إذا كان فى هذه الدراسة من حسنة فمن الله وحده، وإذا كان بها من عيوب أو نقص فمن نفسي، ويكفى أننى أرجو من الله بها أجر المجتهد.

وإذ أطلب من الشباب المسلم الوقوف على عظمة دينهم، فانى أقول لغيرهم من الشباب: تعالوا إلى كلمة سواء بيننا، فهذا منهجنا، أن ندعو إلى الله بحكمة وموعظة حسنة، ولا أجد أحكم وأوعظ من الاسلوب العلمى، سمة العصر الحديث، والله اسأل أن يزيد ايماننا، وأن يشرح صدورنا وصدورهم إلى الإيمان بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الجيزة ١٩٩٢/١١/١

دكتور / محمد جلاء ادريس

الباب الأول

العقيدة والدين ومراحلهما

الفصل الأول

نشأة العقيدة وضرورتها

التفكير فى أمر العقيدة يدفع المرء إلى بحر من التساؤلات، قد يجد فى اجاباتها ماتستريح له نفسه، وقد يجد مايزيد من اضطرابه ووساوسه. ومهما يكن الأمر، فقد تناول الباحثون مسألة العقيدة: نشأتها وضرورتها وتطورها: وأفاضوا فى ذلك، مما يجعل من غير المجدى أن نسهب فى هذه القضايا ، ومن ثم فسوف نخصص هذا الفصل للحديث بإيجاز عن نشأة العقيدة وضرورتها كتمهيد لابد منه للولوج إلى جوهر دراستنا حول العقيدة الإسلامية والعقائد الباطلة.

يعلل الكثيرون أمر العقيدة بضعف الانسان بين مظاهر الكون المختلفة سواء من القوى الطبيعية أو من الأحياء، ومن ثم ينبغى للمرء أن يتخذ له سندا يلجأ إليه وقت الحاجة ليدخل الطمأنينة على نفسه.

وحول هذه النقطة يطرح الدكتور محمد سعاد جلال سؤاله التالى:

لماذا ينبعث الناس للبحث عن إله يعبدونه، ولماذا إذا وجدوه فى ضمائرهم وعلى ألسنة الرسل، اطمأنت إليه نفوسهم وسكنت حيرتهم؟!

ويقدم لنا فى نفس الوقت جوابه فيقول:

"إن الإنسان فى هذه الدنيا معرض لما لا يحصى من الآفات والمخاوف من الفقر والأمراض وفقد الأعزة عليه من ولده أو زوجه أو من كان مثلهم، وهو معرض لاحتمال الحاجة وظلم الظالمين ممن هم أقوى منه وأقدر على الاضرار به، ثم هو نازع بخلقته وتكوين نفسه إلى الطموح للمنافع وأبهة العيش، معرض للخيبة والاخفاق فيما ينزع إليه، ثم هو بهذا كله لا يضمن سندا ولا معينا ولا منصفا له ولا رحيما به. لا من نفسه ولا من الخلق أجمعين، فكان بذلك مضطرا اضطرارا لا مندوحة عنه للبحث عن الله، رب العالمين، يفرده بالإيمان والتوحيد والعبادة والتفويض والدعاء

والرجاء والنصرة والشكوى والمناجاة والحنين والاستبصار فى غوامض الأحداث وفى كل احتياجاته النفسية والجسدية وكل أشواق ضميره ولواعج أعماقه.

فأما الأصنام والكواكب وأمثالها من الكائنات المخلوقة فهى عاجزة أن تضع لعبادها شيئا من ذلك كله على الحقيقة بصرف النظر عن أوهامهم فيها.

فلم يبق صالح لمقام الألوهية إلا فاطر السموات والأرض وخالقهن، فإنه القابض وحده على أزمة الأسباب والمسببات، وتسخير المخلوقات لغيرها من المخلوقات، فهو إذن أحق ممن سواه بعباده من سواه له، وتوجيه وجوههم له"(1)

فالدافع الأقوى إذن وراء العقيدة هو إحساس الإنسان بالضعف والحاجة وهو ماذهب إليه الرأى السابق. وإذا كنا لا نناقض هذا الرأى، فإننا لا نقره كدافع وحيد وراء البحث عن الإله. فالضعف الإنسانى إذن لا يعلل العقيدة الدينية كل التعليل لأنها تصدر عن غير الضعفاء من الناس، وليس أوفر الناس نصيبا من الحاسة الدينية - على نحو ماذهب العقاد - هم أوفرهم نصيبا من الضعف الإنسانى. مع اختلاف أنواع هذا الضعف، ولم يكن الأنبياء والمرسلون والدعاة إلى الأديان ضعافا فى الرأى أو الجسم أو العزيمة، كما أن المرء لا يزداد إعتقادا كلما زاد ضعفا ولا العكس.(2)

وقد أضاف باحثون آخرون دوافع أخرى وراء نشأة العقيدة، فوجدنا فرويد بهوسه الجنسى يضيف بعدا جديدا للبحث عن الإله متمثلا فى

1- من مقال له: بجريدة الجمهورية القاهرية بتاريخ ١٩٧٦/٣/٣٠

2- عباس محمود العقاد، الله، كتاب الهلال، العدد ٢٠٧ يونيه ١٩٦٨، ص١٢

الغريزة الجنسية، ويزعم أن حب الله هو بمثابة حالة من التسامى للحب الجنسى عند بعض الأفراد.

كما رد الفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون العقيدة الدينية إلى مصدرين أولهما إجتماعى لفائدة النوع كله وثانيهما فردى يتعلق بأصحاب البصيرة والموهبة.

وعلى الرغم من أن ماكس موللر من علماء اللغات، إلا أنه أضاف بعدا جديدا بناء على دراساته اللغوية لمعانى الأساطير وعلاقتها بالعقائد والعبادات ومن ثم فإنه يرى أن روعة المجهول ، وجلال الأبد اللامتناهى، كانت من عوامل تحرك الإنسان للتفكير فى وجود الله.[1]

ويبقى لنا على الساحة دافع الخوف والحاجة ليشكل أقوى الدوافع وأهمها على الإطلاق فى توجيه الإنسان للبحث عن الله الذى أدى بدوره إلى نشأة العقيدة، وهذا مايؤكده المودودى حيث يقول:

"إن أول ماينشأ فى ذهن الإنسان من الحافز على العبادة والتأله يكون مأتاة احتياج المرء وافتقاره. وماكان الإنسان ليخطر بباله أن يعبد أحدا مالم يظن فيه أنه قادر على أن يسد خلته، وأن ينصره على النوائب ويؤويه عند الآفات، وعلى أن يسكن من روعه فى حالة القلق والإضطراب". [2]

ولعل ماسبق يفسر لنا كثيرا من مظاهر الشرك المعاصر حيث خلقت الحاجة، وخلق الإفتقار حالة لدى الكثيرين، توجهت فيها مظاهر العبادة للأقوياء من الأشخاص، والعظميات من الدول.

١- المرجع السابق، ص١٦

٢- ابو الأعلى المودودى، المصطلحات الأربعة فى القرآن، دار التراث العربى، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦، ص١٤

وراحت مذاهب أخرى متعددة[1] ترجع العقيدة إلى بعض المظاهر الانسانية، فإذا بالمذهب السيكولوجي يرجع ظاهرة الدين الى حالة نفسية علية، فهو مجرد انفعالات أشبه بالأحلام والعقد النفسية، ويتجاهل الوعى الكونى الذى يختلف تماما عن وعى الظواهر.

أما المذهب الفلسفى فيرى أن للأديان جميعا ماهية واحدة يمكن اكتشافها بالتحليل المنطقى وانها المقياس الذى نحكم به على الأديان والعقائد، وعليه فما دام جوهر الأديان واحدا فلا بأس أن تعدد الظواهر. وزعم غاندى وهو من أتباع هذا المذهب أن الدين "سواديشى" أى إقليمى.

وبالرغم من إمكانية إقرار غاندى على مذهبه حيث يفرض نظرية عقلية على ظاهرة وجودية صرفا، إلا أن المنطق العقلى هنا يصطدم بالواقع، وأن كان من الطبيعى اتفاق الواقع مع العقل إلا أنه فى مسألة الدين على وجه الخصوص لا يمكن لنا أن نفرض النظرية العقلية.

ويجمع المذهب التاريخى بين المذاهب الأخرى، وهو وان حافظ على قدسية الدين فإنه يعتبره ظاهرة وجودية، كما يرى أن للدين تاريخا وتطورا وبالتالى يركز اهتمامه على هذا التاريخ للوقوف عل أسلوب هذا الدين وتأثيره فى التاريخ البشرى.

وعلى أية حال، فيمكن القول بأن العقيدة قد نشأت نتيجة حاجة الإنسان وطموحه وتوقه لادراك القوة الكامنة وراء هذا الكون، واستعداده لأن يقدم حياته وفق أغراض وإرادة هذه القوة، ومن ثم تشمل كل ديانة مجموعة من المعتقدات هى حلقة الوصل بين العابد والمعبود، وطبقا لها تنفذ الأوامر الإلهية التى تتبعها الإنسانية.

١-أنظر اسماعيل راجى الفاروقى، ملخص محاضرات فى تاريخ الأديان، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة، مجلد ٢١، العدد الأول مايو ١٩٥٩، ص ٦٦

الفصل الثانى

فكـــرة الديـــن

كى نفهم هذه الفكرة علينا أن نفهم معنى الكلمة ذاتها، سواء فى اللغة أو فيما اصطلح عليه فى علم تاريخ الأديان، عند العرب والمسلمين وعند الآخرين.

فمن بين المعانى اللغوية لكلمة "دين" عند العرب، الإشارة إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له. فهى تشير من ناحية إلى طرف يخضع وينقاد، ومن ناحية أخرى إلى طرف حاكم ملزم، كما أنها تشير إلى الدستور المنظم للعلاقة بين هذين الطرفين أو المظهر الذى يعبر عنها[١]

ومن الإجمال إلى التفصيل حتى تدرك الأذهان كنه هذه الكلمة ومعانيها التى تشير إليها من خلال إستعمالاتها العربية[٢]

أولا: تستعمل كلمة دين لتفيد القهر والسلطة والحكم والطاعة، يقال: "دان الناس" أى قهرهم على الطاعة، و"دنت الناس" أى أذللتهم واستعبدتهم" ، و"دين الرجل" إذا حمل على مكروه.

يقول الحطيئة مخاطبا أمه:

لقد دينت أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين[٣]

وجاء فى الحديث الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت[٤] أى ذللها وقهرها.

ثانيا: الطاعة والخدمة والإئتمار بأمر شخص ما وقبول الذلة والخضوع له. يقال: "دنتهم فدانوا "أى قهرتهم فأطاعوا.

وجاء فى الحديث الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أريد

١- محمد عبدالله دراز، الدين، دار القلم، ١٩٩٠، ص٣١

٢- انظر: لسان العرب ، ج ١٧.

٣- البيت ورد فى لسان العرب ج١٧، ص ٢٨، وأساس البلاغة، ج١، ص٢٩١

٤- اخرجه الترمذى ج٣، ص٣٠٥، وابن ماجه ج٢، ص٥٦٥ والحاكم، ج١، ص٥٧، واحمد ج٤، ص١٢٤.

من قريش كلمة تدين بها العرب " أى تطيعهم وتخضع لهم.

ثالثا: الشرع والقانون والعادة والتقليد والمذهب. يقال: " مازال ذلك دينه وديدنه" أى دأبه وعادته وفى الحديث: " كانت قريش ومن دان بدينهم". أى من كان على نهجهم وعادتهم وطريقتهم.

رابعا: المكافأة والجزاء والقضاء والحساب يقال: " كما تدين تدان" أى كما تفعل يفعل بك، ومن هنا جاءت كلمة "الديان" بمعنى القاضى وحاكم المحكمة.

فكلمة الدين إذا وفق المعانى السابقة تقدم لنا نظاما كاملا قوامه أربعة أجزاء هى: الحاكمية والسلطة العليا، الطاعة والإذعان لتلك الحاكمية والسلطة، النظام الفكرى والعملى المتكون تحت سلطانه تلك الحاكمية ثم المكافأة التى تمثلها السلطة العليا على اتباع ذلك النظام والإخلاص له أو على التمرد عليه والعصيان له[1].

وقد وردت كلمة الدين فى القرآن الكريم بذات المعانى السابقة. فمن الآيات الكريمة التى حملت المعنيين الأول والثانى أى القهر والغلبة من ناحية والطاعة والتعبد من ناحية أخرى نجد قوله تعالى:"وله مافى السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون"(النحل :٥٢)

"أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون" (آل عمران:٨٣)

ومن الآيات الكريمة ذات المعنى الثالث أى الحدود والقوانين والطريقة

١٠- أبو الأعلى المودودى، المرجع السابق، ص ١١٢ ومابعدها.

قوله تعالى:

"إن الحكم إلا لله، أمــر ألا تعـــبـــدوا إلا إياه، ذلك الدين القـــيم" (يوسف: ٤٠)

"فأقم وجهك للدين حنيفا، فطرة الله التى فطر الناس عليها، لاتبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (الروم: ٣٠)

"الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله" (النور:٢)

" كذلك كدنا ليوسف ، ماكان ليأخذ أخاه فى دين الملك"(يوسف: ٧٦)

"لكم دينكم ولى دين"(الكافرون ٦.)

وأما المعنى الرابع وهو المحاسبة والثواب والعقاب والقضاء فقد جاء فى كثير من الآيات الكريمة منها قوله جل شأنه:

"إنما توعدون لصادق، وان الدين لواقع" الذاريات: ٥-٦

"وما أدراك مايوم الدين، ثم ما أدراك مايوم الدين، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله" الإنفطار: ١٧ -١٩

وفى آية كريمة واحدة، اجتمعت المعانى السابقة كلها مفصلة ثم أجملت فى مصطلح " الدين الحق" وذلك فى قوله تعالى:

"قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" التوبة: ٢٩

فالإيمان بالله يشمل المعنيين الأول والثانى، أى القهر والغلبة من ذى سلطة عليا ومن ثم الخضوع والتعبد له، والإيمان باليوم الآخر يشمل المعنى الرابع وهو يوم الحساب والجزاء، وتحريم ماحرم الله ورسوله هو ذاته المعنى الثالث لكلمة "دين" والممثل فى الحدود والقوانين.

ثم جاء الحق وتبارك بإجمال بعد تفصيل فى قوله تعالى " ولا يدينون دين الحق" ليؤكد لنا جل شأنه على هذا النظام الربانى الذى ينبغى علينا أتباعه.

وبعد تلك الإستفاضة التى أصلنا فيها كلمة دين فى الإستعمال العربى بوجه عام والقرآنى بوجه خاص نكون قد رددنا على مزاعم دائرة معارف الإسلام والتى تزعم أن الكلمة دخيلة على العربية، ومعربة عن العبرية أو الفارسية، ولا غرو فهذا "دين" المستشرقين وديدنهم.

وكلمة الدين فى تاريخ الأديان لها معنيان: أولهما هو الحالة النفسية والتى نطلق عليها التدين، وثانيهما هو تلك الحقيقة الخارجية والتى يمكن الرجوع إليها فى العادات الجارية أو الآثار أو الروايات وتعنى جملة المبادىء التى تدين بها أمة من الأمم إعتقادا أو عملا.

وتعريف كلمة الدين لدى علماء المسلمين نوجزه فى أن الدين "وضع إلهى يرشد إلى الحق فى الاعتقادات وإلى الخير فى السلوك والمعاملات"[١].

ويبدو قصور المفهوم الغربى للدين إذا ماقورن بما سقناه من دلالات هذه الكلمة فى اللغة العربية من خلال ماقدمه لنا علماؤهم من تعريفات للدين على النحو التالى[٢].

يقول سيسرون فى كتابه "عن القوانين": "الدين هو الرباط الذى يصل

١١- محمد عبد الله دراز، المرجع السابق ، ص٣٣

١٢- المرجع السابق، ص ٣٤ ومابعدها

الإنسان بالله".

ويقول كانت فى كتابه "الدين فى حدود العقل": "الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر الهية".

ويقول شلاير ماخر فى "مقالات عن الديانة": "قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة".

ويقول الأب شاتل فى كتاب " قانون الإنسانية: " الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله وواجباته نحو الجماعة وواجباته نحو نفسه"

ويقول تايلور فى كتاب "المدنيات البدائية": " الدين هو الإيمان بكائنات روحية."

ويقول ماكس ميلر فى كتاب " نشأة الدين ونموه": " الدين هو محاولة تصور مالا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن العبير عنه، هو التطلع إلى اللانهائى، هو حب الله."

والسؤال الذى لامندوحة عنه فى هذا المقام هو:
متى ظهرت فكرة التدين فى الحياة؟
هل هى قديمة قدم الإنسانية؟
أم أنها مستحدثة جاءت بعد الحضارات المادية؟
أم أنها لازمت هذا التطور الحضارى المادى فى الظهور؟

مثل هذه التساؤلات ليس بجديد. فقد طرحها الإنسان على نفسه منذ زمن بعيد وحاول أن يجد لها إجابة مقبولة لكن معظم هذه الإجابات كان مخالفا للحقائق التى سقناها فيما يتعلق بدوافع العقيدة، وهى دوافع تعتبر ملازمة لوجود الكائن البشرى على هذا الكوكب.

فاليونان القدماء يزعمون أن الدين ليس إلا ضربا من ضروب السياسة الماهرة التى ابتدعها الإنسان من أجل علاج الأمراض الاجتماعية. والأوروبيون المحدثون - وبخاصة ابان الثورة الفرنسية - زعموا أن الديانات ليست سوى أمور طارئة على البشرية، وكرر فولتير مزاعم السابقين ورد فكرة التألية ذاتها إلى اختراع الدهاة الماكرين، وقد يكون له ولامثاله العذر لما عاصروه من انحلال رجال الكنيسة وظلم القوانين آنذاك.

وقد تكون نشأة العقائد من الأمور المستحدثة.

وقد تكون كذلك بعض العبادات من الأشياء اللاحقة على وجود الإنسان لكن فكرة الدين والتدين فى حد ذاتها أقدم من ذلك بكثير، ولعلها لازمت وجود الإنسان، ويؤكد ذلك أن معظم الحضارات التى عرفتها الإنسانية قد عكست لنا بصورة أو بأخرى شكلا من الأشكال المعبرة عن فكرة التدين.

الفصل الثالث

التوحيـــد

مرت العقائد فى حياة الإنسانية بأطوار ثلاثة:

طور التعدد Polytheism

طورالترجيح Henotheism

طور الوحدانية Monotheism

وفى رأينا الخاص أن هذا التقسيم الذى شاع بين الباحثين انما يرتبط بأقدم ماتوصل إليه العلماء من معلومات قد تتغير طبقا للمكتشفات الأثرية التى تتوالى فى كل عصر وحين، ونرجع أن اعتقاد الإنسان الأول كان اعتقادا وحدانيا لم يلبث أن انحرف تجاه التعدد وارتقى إلى الترجيح فى فترات لم تشهد ظاهرة النبوة، ثم عاد الأمر إلى أصله التوحيدى على أيدى الأنبياء والرسل، ومازلنا حتى عصرنا هذا لا نعدم وجود الأطوار الثلاثة فى مجتمعات العالم المختلفة.

وعلى أية حال، فالحياة العقيدية للإنسان، قد عرفت هذه المراحل وهو مايستلزم وقوفنا عند كل منها:

أولا: مرحلة التعدد

مرت على البشرية فترة من الزمن تفرقت بالناس فيها المسالك ، وراح كل فريق يلتمس له إلها مما فى السماء أو مما على الأرض أو مما فى الخيال. فعبدوا الكواكب والنجوم، وعبدوا الأشجار والأحجار، والنبات والحيوان وصار لكل قطر، بل لكل قبيلة إله خاص، ولكل أمر من أمور العالم المحيط إله خاص. فللنور إله، وللظلام إله، وللخصوبة إله،وللنماء إله، وللحب إله ، وللجمال إله، وسيطرت الأساطير على الفكر الدينى.

وقد صنف الباحثون[1] معبودات القدماء فى هذه المرحلة على النحو التالى:

١- الأرباب الطبيعية التى تمثل ظواهر الطبيعة كالنور والظلام والرعد والبرق والمطر والشمس والقمر...

٢- الأرباب الإنسانية، وهم أولئك الأبطال والقادة الذين تقترن أسماؤهم بالخوارق والمعجزات حسب زعم واعتقاد أتباعهم.

٣- أرباب الأسرة وهم الأسلاف الغابرون والرجال الصالحون من الأهل والأقارب الذين يعبدهم أبناؤهم وأحفادهم ويحيون ذكراهم ويقدمون لهم النذور والقرابين، وهى ظاهرة نجدها فى عصرنا هذا مع اختلاف يسير يتمثل فى أن الأوائل أعلنوا بلا استحياء عن عبادتهم لهؤلاء، أما فى زمننا هذا فالأبناء يستحيون من إعلان ذلك معللين تصرفاتهم بعلل واهية.

٤- أرباب المعانى كرب الحرب ورب السلام ورب الحب ورب العشق ورب العدل ورب الصيد...

٥- أرباب البيت كرب الموقد ورب البئر ورب الطعام...

٦- أرباب النسل والخصوبة وغالبا ماتكون إناثا ويسمونها بالأمهات الخالدات، وصارت فيما بعد واهبات للخلود بعد هبة الحياة.

٧- آلهة الخلق التى يعزو إليها المرء خلق الإنسان والحيوان والسماء والأرض.

٨- الآلهة العليا، وهى آلهة الخلق التى تدين عبادها لشرائع الخير وتحاسبهم عليها وتجمع المثل العليا وتضمن السعادة الأبدية للأرواح فى

١- أبو الوفا المراغى، فكرة التوحيد فى القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،سلسلة كتب اسلامية، العدد ١٧٠، مايو ١٩٧٥، ص١٢-١٣؛ عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص ١٩ -٢٠

عالم الخلود. وهى أرقى مابلغته الإنسانية فى مراحل طور التعددية وتعد بمثابة تمهيد لمرحلة الإيمان بإله واحد.

ولو نظرنا إلى نوعية الآلهة السابقة، وربطناها بما أسلفناه حول سبب نشأة العقيدة وجدنا أن هذه النوعيات تتفق مع القول بأن ضعف الإنسان وحاجته كانا من أسباب البحث عن إله يعبد.

ثانيا : مرحلة الترجيح

هذ المصطلح استخدمه لأول مرة ماكس ميلر فى مقال له عن التوحيد فى الديانة السامية نشر فى مجلة لندن تايمز عام ١٨٦٠ لتوضيح ما اعتبره مرحلة وسطى فى الديانة بين التعدد فى الآلهة وبين التوحيد.

وتتمثل هذه المرحلة فى وجود إله خاص بكل شعب، يؤمن به أتباعه ، وفى نفس الوقت يعترفون بوجود آلهة أخرى لسائر الشعوب.

فموآب مثلا، لها معبودها وإلهها القومى، بالإضافة إلى آلهة الأقوام الأخرى، ولو إنتقل موآبى أو عمونى من بلده إلى بلد آخر فإنه يترك إلهه ويلتحق بعبادة إله البلد الجديد.

وقد شهدت الجزيرة العربية آلهة عديدة خاصة بأقوامها ، فمن آلهة النبط مثلا نجد "ذا الشرى" و"مناة" و"إل" ، وعند ثمود نجد "ملك"، و"كهل" و"ال" أيضا ، أما الصفويون" فيعبدون "اللات" و"رضو" وهى الهة المساء، واللحيانيون يعبدون "ذغبت" ذو غابة و"العزى" وهى نجم الصباح و"بعل سمين" و"أل "واللات" و "مناة" و"شمس". ومن الآلهة المعينية والقتبانية والحضرمية نجد "ود" وهو إله القمر و"رخ"، و"كهلان" و"ككوان" وهو إله شمسى و"سين" وهو إله القمر الحضرمى يقابله "عم" عند القتبانيين

وغيرهم[١]

والقارى للعهد القديم من الكتاب المقدس سيجد معرضا للآلهة التى عاصرها بنو إسرائيل عند الشعوب الأخرى، وعبدوا بعضها فى مراحل كثيرة من تاريخهم الملىء بالإنحرافات العقدية.

ثالثا: مرحلة التوحيد

التوحيد فى عبارة العلماء[٢] اعتقاد وحدانية الله تعالى، وعند الصوفية معرفة وحدانية الله تعالى الثابتة فى الأزل والأبد.

والتوحيد العلمى تصديقى ان كان دليله نقليا وهو التوحيد العام، وتحقيقى ان كان عقليا وهو التوحيد الخاص.

والوحدانية تستدعى الروحانية التى تعتبر أهم محرر للفكر البشرى من قيود المادة. فعابد الأصنام أو غيرها يمكنه تأمل الظواهر الطبيعية الملموسة ولكنه يعجز عن الإرتقاء إلى القوانين العامة التى تتحكم فى هذه الظواهر ولا أن يتحرر من قيود الطبيعة ليجول فيما وراء الطبيعة، لذلك نجد الوثنيات القديمة كانت تضم بين جنباتها دينا للعامة تقل فيه الروحانية، وآخر للخاصة أساسه النظر الفلسفى المطلق، وهذا كله بهدف بقاء النظام الطبقى القائم وحرمان العامة من الإرتقاء الفكرى الذى قد يدفعهم للمطالبة بحقوقهم من الخاصة.

والوحدانية تربية للضمير الإنسانى، قائمة على احترام السلطة العاقلة المدبرة وعدم اللجوء إلى سلطات متعارضة، والخضوع لهذه السلطة

---

١ - لمزيد من التفاصيل حول آلهة العرب قبل الإسلام انظر: خليل يحيى نامى، العرب قبل الإسلام، دار المعارف، ١٩٨٦، ص ١٣٣ ومابعدها

٢- دائرة المعارف للبستانى، مجلد ٦، ص٦٠.

خضوعا لا يمكن إلا فى ظل العبودية التامة.

والتوحيد كذلك هو افراد الحق تبارك وتعالى بالقصد والعبادة. فإن كان ذلك إعتقادا يقال للعبد مؤمن بالتوحيد، وإن كان علما عن أدلة يقال له عالم بالتوحيد، وإن كان لغلبة الحق على القلب واستيلاته عليه يقال أنه عارف بربه[1].

ويعرف الإمام محمد عبده التوحيد فيقول: "أصل معنى التوحيد: اعتقاد أن الله واحد لا شريك له. وسمى هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه، وهو اثبات الوحدة لله فى الذات وبالفعل فى خلق الأكوان وانه وحده مرجع كل كون، ومنتهى كل مقيد"[2]

وأهم مايعنينا هنا هو أن التوحيد نهاية أطوار التعدد والترجيح فى كافة الحضارات الكبرى، فكل حضارة آمنت باله يعلو على الآلهة قدرا وقدره ، وقد بلغت الأديان الكتابية بالتوحيد مرتقاه وعلمت الناس عبادة الإله الأحد الذى وسعت قدرته كل الموجودات فى السموات والأرض دون أن يكون له شريك فى الخلق ولا فى القضاء.

١- أحمد بهجت، الله فى العقيدة الإسلامية، المختار الإسلامى، القاهرة، ١٩٧٦ ص ٢٤- محمد عبده، رسالة التوحيد، الشعب، د. ت، ص ٧.

الباب الثانى

العقيدة الإسلامية

الفصل الأول

التوحيد والمنهج

عقيدة الإسلام يوضحها معنى كلمة الإسلام: الإنقياد والامتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض.

وقد جاء الدين الإسلامى بتوحيد الله تعالى فى ذاته وأفعاله وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين، فأقام الأدلة على أن للكون خالقا واحدا متصفا بما دلت عليه آثار صنعه من الصفات العلمية كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها وعلى أنه لا يشبهه شيء من خلقه، وليس ثمة نسبة بينه وبينهم سوى أنه موجدهم وأنهم له وإليه راجعون. وتجد سورة الصمد بكلماتها المعدودة أساس هذه العقيدة:

" قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"

فكى نفهم الإسلام إذا لسنا بحاجة إلى وسطاء لتفهيمه، ولا علماء لشرح غموضه فهو أيسر وأسهل من كل تصور عقدى آخر. فالله واحد لا شريك معه، ليس له ولد وليس له والد، وليس من شبيه له ولا معادل، إليه نلجأ ونجأر وبه نعوذ وتستعين. فالفارق المميز للإسلام كعقيدة عالمية هو بساطتها ووضوحها وإدراكها الشامل لشئون الحياة بأسرها دون افراط أو تفريط.

وهو لا يتميز بجوهر عقيدته التوحيدية الخالصة النقية فحسب، وإنما يتميز كذلك بمنهجه المعجزة. فالمفروض فى المنهج الذى يتصدى لقيادة البشرية أن تتوفر فيه صفات تمكنه من سد العجز فى أى منهج آخر.

فالإسلام إذا يتميز بتوحيده المتفرد، وبمنهجه المتميز.

أما خصائص توحيد الإسلام فهو أنه غير قاصر على قوم بعينهم كديانات نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، فلم يأت محمد صلى الله عليه وسلم بتوحيد يخص القرشيين دون الحجازيين مثلا، وإنما جاء بعقيدة توحيدية للبشرية جمعاء، ولذلك لما انتشر الإسلام فى

أعقاب الفتوح التى خرجت من شبه الجزيرة، كان الخاضعون يستسلمون للتوحيد، لا للموحدين الفاتحين، ولذلك لم يفرض الإسلام فرضا كما فعل المسيحيون مثلا فى الأندلس حين فرضوا مسيحيتهم على المسلمين، فهم قد فرضوا عقيدتهم ليلغوا إله المغلوبين ويجبروهم على التعبد لمن يعتقدون فيه الألوهية، لا تكريما للمسلمين المتنصرين وهداية لهم ورغبة فى مساواتهم بأنفسهم، بل فرضوا عليهم دينهم إذلالا للمسلمين المغلوبين(1).

لكن عقيدة التوحيد الإسلامية مختلفة تماما. فلما كان المقصود هو الإرشاد والهداية، فإن أى مغلوب يسلم يكون حقه هو حق الغالب، لأن التوحيد الإسلامى يحرر العقل ويحرر الجسم، يلغى الامتيازات، ويذيب الفوارق. فالله فى الإسلام، إله للعاملين جميعا: " رب العالمين"

والرسول فى الإسلام للناس جميعا : "قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا" الأعراف ١٥٨، " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا. " سبأ : ٢٨

والقرآن الكريم كتاب هداية للناس جميعا: " قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين. أن هو إلا ذكر للعالمين" صٓ: ٨٦ - ٨٧.

فرب الإسلام، ورسول الإسلام، وكتاب الإسلام، للناس جميعا، للعرب والعجم، للاشراف وللعبيد، للأغنياء وللفقراء، للأقوياء والضعفاء، وتلك السمة الفارق للتوحيد الإسلامى.

١- أحمد عبدالغفور عطار، الإسلام، مكة المكرمة، ١٩٨٠، ص١١٦

وأما المنهج الإسلامى فقد تفرد بتوفر الخصائص المؤهلة للقيادة المنهجية للبشرية إذ تتوفر فيه الصفات التالية[1]

أولا: أنه صادر عن الله تعالى دون تدخل بشرى أو تحريف.

ثانيا: أنه يستوعب كل قضايا الحياة.

ثالثا: أنه لايتعارض مع حقائق الكون المادية التى سوف تنتهى إليها العقول [2]

رابعا: أن شعائره التى تربط الإنسان بربه بسيطة خالية من كل تعقيد.

فالتوثيق والشمولية والقبول العقلى والبساطة، هى سمات يتصف بها المنهج الإسلامى، وتفتقدها المناهج الأخرى التى سبقته، سماوية كانت أم وضعية، ومن ثم حق لنا أن نقر بتفرد المنهج الإسلامى كما حق لنا أن نقر تفرد وحدانيته.

لقد حقق الإسلام - عقيدة ومنهجا - المعادلة الصعبة المتمثلة فى التوازن بين الانسان والحياة.

فهو مثلا لا يمنح مكانا لهؤلاء الذين يجعلون من الحياة صورة من المرح اللانهائى، ولا لهؤلاء الذين يجعلونها خالية من كل أنواع السرور.

فلا مكان فى الإسلام للنساك، ولا مكان للفوضويين.

واعترافا منه بأثر الأوضاع المحيطة على سلوك الفرد، فإنه يحاول إصلاح النظم المختلفة لتتفق مع أهدافه وأخلاقياته. وهو يصر على الإصلاح النفسى والروحى عن طريق الإيمان بالله وبالآخرة، كما يصر على

---

١ - محمد متولى الشعراوى، هذا هو الإسلام، كتاب الحرية رقم ١، ط٢ ، نوفمبر ١٩٨٥، ص٢٤

٢- تفاصيل هذه السمة تجدها فى: موريس بوكاى، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، ١٩٧٩.

الإصلاح الإجتماعى والإقتصادى لارتباط الجانبين الروحى والمادى ارتباطا يصعب إهمال أحد جوانبه والا اختل ميزان الحياة.

فالإسلام ليس مجرد تابع للحياة، بل هو الحياة ذاتها، فالمسلم ينبغى أن يكون مسلما فى كل مكان وزمان، وهذا مايجعل المسلم متفردا بين سائر البشر لأنه استطاع أن يجمع بداخله، تفرد الوحدانية، وتفرد المنهج.

والإيمان بالله هو القاعدة الأساسية فى الإسلام، وعليها تبنى كل القواعد الأخرى، وهذا هو سر قوة الإسلام وتماسكه، وفى نفس الوقت هو نقطة الضعف فى الأديان الأخرى. فالفهم الخاطىء للوجود الإلهى لا يجعل المرء قادرا على تشكيل الحياة الشخصية والحياة العامة على أسس سليمة، فتصرفات الفرد يمليها عليه إيمانه بالله، فإن ضل الإيمان ، اضطرب السلوك.

وفكرة الالوهية فى الإسلام هى من أسمى وأكمل وأتم ماعرفته البشرية فى هذا المجال، فالالوهية الإسلامية بعيدة تماما عن التشبيه والتجسيم والتعطيل، بعيدة عن الشرك والتعدد، أوضحتها آيات عديدة مثل قوله تعالى:

"تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا". الفرقان: ١-٢

"قل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا" الإسراء : ١١

ويقتضى تفرد الله فى الإلوهية التامة والكاملة التفرد فى جميع صفاته وأسمائه فكما أنه لا شريك له فى ذاته، فلا شريك له فى صفاته وأسمائه.

وقد أدرك العرب البسطاء سهولة هذه العقيدة وبعدها عن التعقيد،

فقبلتها الطبائع العربية البسيطة. ولم تخض فى شرحها وفهمها مثلما يقع الآخرون من أتباع الديانات الأخرى التى حادت عن الطريق.

فإذا قلت للبدوى الساذج أن الله واحد أحد، فرد صمد، لا ابن له ولا أب، ولا نظير له فى هذا الكون، رأيته مستوعبا لمعانيها قائما بمتطلباتها من توجيه خضوعه وذلته وعبادته لهذا المعبود.

وأدرك الآخرون تلك البساطة فى جوهر العقيدة الإسلامية، فها هو الفيلسوف البريطانى برتراند راسل يقول فى كتابه عن " تاريخ الفلسفة الغربية"[1]

"كانت ديانة النبى (محمد) توحيدا بسيطا ليس فيه من التعقيد الذى نراه فى عقيدة الثالوث والتجسيد، ولم يزعم النبى لنفسه أنه إلهى، ولا زعم له أتباعه هذه الطبيعة الإلهية نيابة عنه، وجعل واجبا على المسلمين أن يفتحوا من العالم ماوسعهم فتحه فى سبيل الإسلام على ألا يسمح لهم خلال ذلك باضطهاد المسيحين أو اليهود".

وهاهو مستشرق آخر هو غوستاف لوبون، واعتبره مْن غير المنصفين، يقول عن الإسلام:

"والإسلام يختلف عن النصرانية، مع ذلك، فى كثير من الأصول، ولا سيما فى التوحيد المطلق الذى هو أصل أساسى، فالإله الواحد الذى دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شيء، ولا تحف به الملائكة والقديسون وغيرهم ممن يفرض تقديسهم، وللإسلام وحده كل الفخار بأنه أول دين أدخل إلى العالم التوحيد المحض.

١- نقلا عن أحمد عبدالغفور عطار المرجع السابق، ص٩٧

وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض، وفى هذه السهولة سر قوة الإسلام، والإسلام، وإدراكه سهل، خالٍ مما نراه فى الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض، ولا شيء أكثر وضوحا وأقل غموضا من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد وبمساواة جميع الناس أمام الله وببضعة فروض يدخل الجنة من يقوم بها، ويدخل النار من يعرض عنها، وإنك إذا ما اجتمعت بأى مسلم من أية طبقة رأيته يعرف ماذا يجب عليه أن يعتقده ويسرد لك أصول الإسلام فى بضع كلمات بسهولة وهو بذلك عكس النصرانى الذى لا يستطيع حديثا عن التثليث والاستحالة وما ماثلهما من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل."[1].

هذه هى وحدانية الإسلام التى أدرك بساطتها ويسرها غير المسلمين، والتى كانت من أهم عوامل انتشار الإسلام فى العالم النصرانى على وجه الخصوص. فالعلاقة بين العبد والرب فى الإسلام ليست بحاجة لوسيط أو كهنوت، فالله سبحانه وتعالى عندما قال: "ادعونى أستجب لكم" حرر بذلك الفرد من سلطان الكهنوت، فليس فى الإسلام من يزعم أن بيده العفو والغفران، لأن ذلك بيد الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لا شريك له ولا ولد.

فما أعظمك وما أكملك يا إسلامنا، وما أظلمنا حين نجهل قدر ديننا، فاللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

١- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء التراث العربى، بيروت، د. ت، ص ١٥٨، ١٥٩

الفصل الثانى

الأنبياء والرسل

ومن مستلزمات تمام التوحيد وكماله فى الإسلام أن يعتقد المرء فى قدرة الله المطلقة على إرسال الرسل والأنبياء إلى البشر بهدف تعديل المسار التوحيدى على وجه البسيطة ومايستوجب ذلك من إقرار شرائع وابطال أخرى.

فلله وحده الحق المطلق فى اختيار من يشاء للنبوة والرسالة ومتى يشاء، فالنبوة إذاً هبة من الله تعالى واختصاص منه لمن شاء من خلقه، وهى تختلف عن الملك والسلطان فى نقاط أساسية[1] أهمها:

١- لا تكون النبوة بالإرث، وإنما هى فضل إلهى، واصطفاء ربانى، وهذا يوضحه قوله تعالى:

"ولقد اخترناهم على علم على العالمين" الدخان:٣٢

"إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين"آل عمران:٣٣

٢- لا تعطى النبوة لكافر على الإطلاق بينما يعطى الملك والسلطان للمؤمن والكافر بدليل قوله تعالى حكاية عن فرعون:

"ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون" الزخرف: ٥١

وقوله تعالى عن النمرود الذى ادعى الإلوهية:

" ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه عن آتاه الله الملك..." البقرة ٢٥٨

٣- لا تكون النبوة إلا للرجال من دون النساء نظراً لمقتضياتها من المشقة والصبر وقوة التحمل مما يفوق امكانيات المرأة الجسمانية والنفسية .

١- أنظر: محمد على الصابونى، النبوة والأنبياء، د.ن، ط؟ ،١٩٨٠ ، ص١٠-١١

ودليل هذا التخصيص قوله تعالى:

"وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" يوسف : ١٠٩

٤- الهدف الأول للنبوة هو الدعوة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، فلا يمكن أن يدعو نبى إلى أن يتخذه قومه ربا من دون الله، ولا يمكن كذلك أن يغرى قومه بالدنيا ويحببهم فيها ويبغضهم فى الآخرة.

وقد يسأل سائل: ماالفرق بين النبى والرسول؟!

النبى هو إنسان أوحى الله تعالى إليه بشرع ولكنه لم يكلف بالتبليغ، أما الرسول فقد أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بالتبليغ، ومن هنا نجد أن الرسالة أعلى مرتبة من النبوة.

وعدد الأنبياء لا يحصى، وقد ورد فى حديث رواه الإمام أحمد عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجابه عن عدد الأنبياء بأنهم مائة وعشرون ألفا من بينهم ثلثمائة وخمسة عشر رسولا. وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر خمسة وعشرين رسولا هم:

آدم، نوح، ابراهيم، اسماعيل، اسحق، يعقوب، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيى ادريس، يونس، هود، شعيب، صالح، لوط، الياس، اليسع، ذو الكفل، عيسى، محمد.

وشاءت ارادة الله تعالى أن يفضل بعض الرسل على بعض وان يرفع بعضهم درجات، وفى هذا يقول سبحانه وتعالى:

"تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" البقرة: ٢٥٣

"ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا" الاسراء:٥٥

كما أن هناك من الرسل من أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه

وسلم أن يقتدى بهم وهم أولو العزم، أى أصحاب العزائم القوية الذين كان ابتلاؤهم شديدا مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وكان النبى محمد صلى الله عليه وسلم خاتما لهؤلاء الرسل الكرام من أولى العزم، وافضل الأنبياء والمرسلين جميعا فى المنزلة والمكانة، وآيات القرآن الكريم تشهد بذلك .

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن أرسل إليهم الرسل والأنبياء ليكونوا لهم مبشرين ومنذرين، ولانقاذهم من براثن الضلالة إلى ساحات الهداية بما حملوه معهم من وحى إلهى، وبما تركوه بين أقوامهم من قدوة يحتذى بها، وقد شاءت إرادة الله تعالى أن يكون الرسل والأنبياء من البشر لا من الملائكة حتىّ يتمكن البشر من مخالطة الرسل والأخذ عنهم والتأسى بهم، وليكونوا من جنس المبعوث إليهم. فلو كان على الأرض ملائكة لأرسل الله لهم ملاكا رسولا، وهذا ماتوضحه الآية الكريمة:

"ومامنع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا" الإسراء: ٩٤ - ٩٥.

ويمكن أن نوجز مهام الرسل الرئيسية فيما يلى:

١- دعوة الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد، أى إلى التوحيد الخالص:

" وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون".. الأنبياء: ٢٥

٢- تبليغ الأوامر والنواهى الإلهية إلى الناس:

"الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى

بالله حسيبا" الأحزاب"٣٩

٣- هداية الناس:

"يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً" الأحزاب: ٤٥

٤- القدوة الحسنة والأسوة الصالحة للبشر:

" أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده.." الأنعام: ٩٠

٥- تعريف الناس بالأمور الغيبية وتذكيرهم بالنشأة والمصير:

"يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين. ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون" الأنعام: ١٣٠ - ١٣١.

٦- تحويل انتباه الناس من الحياة الفانية إلى الحياة الباقية:

" وماهذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون" العنكبوت: ٦٤

٧- حتى لا يكون للانسان حجة عند الله، بمعنى أن يتعلل لربه بعدم وجود مرشد ونذير وهادٍ.

"رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل" النساء: ١٦٥

ولدعوة الأنبياء والرسل مزايا وخصائص أهمها أنها دعوة ربانية بوحى من الله تعالى وبتكليف منه، كما أن كل الأنبياء والرسل لم يطلبوا على دعوتهم أجرا من الناس. وتتميز كذلك بالإخلاص لله وحده والبساطة وعدم التكلف والزهد فى الدنيا وإيثار الآخرة. وهى دعوة واضحة الهدف

والغاية تركز على عقيدة التوحيد والإيمان بالغيب.

وهذه المزايا والخصائص واضحة من خلال الآيات الكريمة فى القرآن الكريم والتى تحدد لنا مفهوم النبوة وأهمها وسماتها [1].

وللأنبياء والرسل صفات تفردهم عن غيرهم من سائر البشر، وتؤهلهم للقيام بهذه المهمة الصعبة، وهى صفات فصلتها آيات القرآن فى معرض الحديث عن أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم.

وأول هذه الصفات هى الصدق، فلا يمكن لنا أن نتخيل نبيا غير صادق، لانه لو ثبت الكذب على النبى بطلت دعوته وانهدمت أسسها، فكيف يصدق النبى على أمور الغيب وهو غير موثوق فيه فيما يتعلق بالواقع!!

ولذلك، جاء التهديد الربانى فى الآية الكريمة التالية ليوضح لنا خطورة الكذب فى أمور النبوة:

"ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين. وانه لتذكرة للمتقين" الحاقة: ٤٤-٤٨.

ومن الصفات كذلك نجد الأمانة. والأمانة هنا بمفهومها الواسع الذى يشمل أمور الدنيا والدين. فالنبى يؤتمن على الوحى، يبلغ ما أنزل إليه دون زيادة أو نقصان، ولا يمكن أن يؤتمن نبى على الوحى، مالم يكن مؤتمنا بين أهله فى أمور الدنيا، ولذلك نجد كثيرا من أنبياء الله ورسله ينبهون أقوامهم إلى صدقهم فى التبليغ بمقولتهم الشهيرة " إنى لكم ناصح أمين".

---

(١) انظر مزيدا من تفاصيل هذه الخصائص فى: محمد على الصابونى، المرجع السابق، ص٢٩، ومابعدها

وقد تجلت أمانة النبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فيما اشتهر به من لقب " الصادق الأمين"، وبعد البعثة فى تبليغ ما انزل إليه بالرغم مما قد يكون فيه من عتاب من الله تعالى له على نحو الآيات الكريمة التى نزلت فى قوله تعالى لرسوله:

"عبس وتولى. أن جاءه الأعمى" عبس: ١-٢

"ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض.. " الآية الأنفال:٦٧

ويتميز الرسل أيضا بالتبليغ، وذلك بهدف قطع الحجة على الناس، وحتى لا يكون لهم عذر يوم القيامة.

والمقصود بالتبليغ إخبار الناس بما أنزل الله من أحكام حتى ولو كلفهم ذلك العنت والمشقة والإيذاء.يقول الله تعالى على لسان رسوله نوح عليه السلام:

" قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين. أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون" الأعراف ٦١- ٦٢.

ويقول سبحانه وتعالى على لسان صالح عليه السلام:

" وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين" الأعراف: ٧٩

وقال جل شأنه على لسان شعيب عليه السلام:

" وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين" الأعراف: ٩٣.

ثم جاء الأمر الربانى لخاتم الأنبياء والمرسلين بالتبليغ والا فان مهمته ناقصة مبتورة قال تعالى:

"يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس، إن الله لا يهدى القوم الكافرين" المائدة:٦٧
وأكبر دليل على لزوم هذه الخاصية للرسل هو ورود الفعل "قل" فى

أكثر من ثلثمائة موضع بالقرآن الكريم، وهو يفيد الأمر بالتبليغ.

ويتسم الأنبياء بالذكاء والفطنة. فحركية الدعوة إلى الله بما تستلزمه من أعمال وأقوال تستوجب أن يكون الداعية على قدر كبير من الذكاء والنباهة. فالفطنة عامل أساسى فى نشر الدعوة ومحاورة الخصوم وإنجاز المهام الجسام فى وقت قصير. لذلك ميز الله تعالى جميع الأنبياء والرسل بالعقل الراشد، والذكاء النبوغ وسرعة البديهة، ولعل أروع مثال لتلك الصفات يتجلى فى محاورة إبراهيم عليه السلام لقومه من جانب وللنمرود الكافر من جانب آخر.

فجملة واحدة يطلقها إبراهيم عليه السلام لقومه، تهز عقيدتهم الباطلة، وتحرك بواعث الإيمان فى النفس.

فالقوم فى حيرة من أمر تحطيم الأصنام، وهنا يبرز ذكاء النبى، ويقول لهم :"بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون". وهل تنطق الأصنام؟ وإذا كانت لا تملك القدرة على اظهار الحق واحقاقه، فكيف لهذه العقول المتبلدة أن تؤمن بها أربابا من دون الله؟!

ولا يمكن لنا أن نقول فى هذا الموقف أنه غير متكافىء، لأنه بين ابراهيم عليه السلام والعامة. فهاهو خليل الله يحاجج الحاكم الكافر. فهو أمام رجل داهية. يأتى له ابراهيم بالدليل على وجود الله فلايجد منه إلا مراوغة وتلاعبا بالألفاظ، فما كان من إبراهيم النبى الذكى الفطن إلا أن الجمه وأوقعه فى غيابات ضلالاته قائلا:

"فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب "البقرة: ٢٥٨

والنتيجة الحاسمة لهذه الفطانة هى:

" فبهت الذى كفر" البقرة: ٢٥٨

هكذا إرادة الله فى أنبيائه ورسله، فهم فى هذا لايتفقون والطبائع البشرية، فلم نسمع عن نبى عاش ماعاش، قد أصابه مايصيب سائر البشر

من حالات الخرف والنسيان عندما يتقدم بنا السن.

وما أرسل الله من نبى ولا رسول إلا وكان سليما من العيوب المنفرة، سواء كانت عيوبا خلقية أم خلقية من شأنها أن تبعد الناس عنهم ، لأن مهمة الأنبياء جماهيرية بالدرجة الأولى.

نعم. الأنبياء بشر. يمرضون ويتألمون. ولكننا نقصد هنا تلك الأمراض أو العاهات التى تجعل الناس ينفرون منهم ولا يرغبون فى مخالطتهم. وأما ماروى عن أيوب عليه السلام من أباطيل وأكاذيب فليس له أصل صحيح، فالقرآن الكريم يخبرنا بابتلاء الله تعالى له فى بدنه، ولم يخبرنا بتعفن جسده ولا بالدود يأكل لحمه على نحو ماتسرب إلى التفاسير من اسرائيليات.

وهناك صفة لا يمكن أن تتوفر إلا للأنبياء والمرسلين. فالصفات السابقة يشترك فيها النبى وغيره من البشر، بل مطلوب منا أن نتحلى بها، وأن يكون الأنبياء لنا قدوة. أما السمة الفارقة التى يختص بها الأنبياء دون غيرهم فهى العصمة.

والعصمة لغة هى المنع. قال تعالى على لسان ابن نوح عليه السلام:

"قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء" هود ٤٣ أى يمنعنى من الغرق.

والعصمة شرعا هى حفظ الله لأنبيائه ورسله من الوقوع فى الذنوب والمعاصى وارتكاب المنكرات والمحرمات، وذلك لحكمة بالغة تتمثل فى أن على البشر اتباع الأنبياء ، فلو جاز للأنبياء الوقوع فى المعاصى والمنكرات، لصارت أفعالهم هذه سنة بين الناس، ولخرجت مهمة الأنبياء عن هدفها، بل ولأصبحوا سببا فى إفساد الناس لاهدايتهم.

فالأنبياء بشر. ولو لم تكن هناك عصمة من الله تعالى لهم، لكان لابد من وقوع تناقض بين مايدعون إليه وبين مايقعون فيه من محظورات.

وقد اختلف العلماء فى توقيت العصمة بمعنى: هل هى قبل بعثة النبى أم بعدها، والخوض فى هذه الاختلافات يبعدنا عن الهدف المنشود من هذه الدراسة التى ترمى إلى توضيح بعض قضايا العقيدة فى سهولة وبساطة دون الدخول فى خضم الاختلافات والمجادلات.

ومايعنينا هنا هو التأكيد على أمرين:

أولا: أن العصمة للأنبياء فقط.

ثانيا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله تعالى منذ طفولته وحتى وفاته، فلم يرد على لسان الد أعدائه من مشركى الجاهلية قبل الإسلام، وفى عصرنا هذا، مايمكن نسبه إليه من أقوال أو أفعال تمس عصمته.

فكما حفظ الله لنا كتابه الكريم ، حفظ لنا أيضا رسوله المصطفى، وكيف لا يكون معصوما وقد زكى الله لسانه فقال:

"وماينطق عن الهوى" النجم:٣

وزكى قلبه فقال:

" ماكذب الفؤاد مارأى" النجم:١١

وزكى بصره فقال:

" مازاغ البصر وماطغى" النجم: ١٧

وجمع قمة الأخلاق المعصومة، فقال سبحانه وتعالى عنه:

"وانك لعلى خلق عظيم" ن: ٤

ان من صلب عقيدة المسلم الإيمان بعصمة الأنبياء، لأن القرآن الكريم جاءنا ببراءة ربانية لأنبيائه من كل معصية وإثم، فنفى ما اتهم به الرسل والأنبياء زورا، وأثبت لهم العصمة بحق، ولم يحاب أحدا منهم إذا ألم بخطأ، بل أشار إليه واستتابه، وهذه الأخطاء لا يمكن عدها من الكبائر

وإنما هى أمور يسيرة، لا تعتبر بمقاييس سائر البشر أخطاء، وإنما هى بالمقياس الإلهى استحقت "لفت النظر"، حتى تكون صورة الأنبياء ناصعة خالية من أية شائبة.

فهذه الأخطاء - إن جاز لنا تسميتها كذلك - لا تتصل بأمور اعتقادية أو خلقية، بل هى من الأمور التقديرية التى تتفاوت فيها الآراء عادة من شئون الدنيا وسياسات الأمم.

وقد يعتبر الأنبياء أنفسهم مقصرين فى حق الله لأنهم أعرف الناس بجلاله وسلطانه وحقوقه على عباده، ومن ثم يعدون ذلك من الذنوب التى يستغفرون الله عليها، وهو إستغفار لا يمكن مقارنته باستغفارنا عن أخطائنا وذنوبنا وسيئاتنا[1].

١- محمد الغزالى، عقيدة المسلم، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٩٧٧، ص١٨٧

الفصل الثالث

اليـــوم الآخـــر

تقوم العقيدة الإسلامية على الإيمان بعالم الحس وعالم الغيب، وإذا كانت أركان الإسلام الخمسة تقوم على الحس والمشاهدة، فإن الإيمان بأركانه الستة يبنى على الغيب. فالإيمان بوجود الله وحده ربا وخالقا ومدبرا للكون، والإعتقاد بوجود الملائكة وبصحة الرسالات وبعث الرسل، والإيمان باليوم الآخر وبالقدر، كلها أمور غيبية تخرج عن عالم الحس والمشاهدة، والإيمان بها جميعا سمة من سمات المؤمن وضرورة من ضروريات إيمانه.

قال تعالى:

"ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون".. البقرة" ١-٥

ويولى القرآن أهمية خاصة لقضية الإيمان باليوم الآخر إلى درجة نلاحظ فيها الحاقه مباشرة بالإيمان بالله تعالى، وجعلها من سمات الإيمان والكفر على وجه العموم.

فالمؤمنون بالله يؤمنون باليوم الآخر، والعكس صحيح.

قال تعالى:

" إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" البقرة: ٦٢

" ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر" البقرة: ٢٣٢

"ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين" البقرة: ١٧٧

"والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما" النساء:

"لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" الأحزاب: ٢١

"يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات.."آل عمران١١٤

تلك كانت صفات المؤمنين، أما الكفار فقد قال الله تعالى فى شأنهم:

"قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله..." التوبة" ٢١.

"والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا" النساء: ٣٨

وقد يقول قائل: إن الحديث عن اليوم الآخر باسهاب فى السور الملكية مرجعه انكار المشركين له، فما بالنا بالحديث عنه فى عصرنا هذا؟ وهل منا من ينكره؟!

إن الحديث عن اليوم الآخر قد استمر وبصورة مسهبة أيضا فى السور المدنية. إذن الهدف من استمرارية التنبيه على هذه القضية الاعتقادية الهامة ليس هو اقناع الرافضين فحسب، بل هو أيضا تنبيه الغافلين من المؤمنين.

ولكن.. أيعقل أن يغفل المؤمنون الأوائل وهم الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله، ورجاء الاستعداد لهذا اليوم؟!

لاشك أنه لا يعلم كوامن النفس البشرية إلا صانعها: " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" الملك:١٤

وفى النفس غرائز وطبائع فطرية قوية:

" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا" آل عمران ١٤٠.

وكيف لا تستجيب النفس البشرية للمتاع الأرضى الزائل، وبينها وبين الأرض نسب يجعلها فى بعض الأحيان تميل إلى أصلها أكثر من ميلها إلى أمر خالقها:

"يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله إثاقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل" التوبة: ٣٨.

فالخطاب فى الآية الكريمة للمؤمنين، وقد غفلوا عن اليوم الآخر، فجاءت الهزة الإلهية للوجدان، لتذكرهم بما هم فيه من غفلة، وماينبغى أن يكونوا عليه.

فلو تذكر الإنسان دائما اليوم الآخر لاستقام على الطريقة، ولأصلح ما اعوج من مسيرته، ومن هنا كان لابد من دوام التنبيه للمؤمنين ولغيرهم، وبالرغم من ذلك، بالرغم من كثرة التذكير بهذا اليوم، فالمسلمون المعاصرون مازالوا بحاجة إلى المزيد منه.

واليوم الآخر فى المفهوم الإسلامى له إطلاقان:

الأول: وهو يوم القيامة حيث تنتهى الدنيا وتبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وقد ذهب إلى ذلك فريق من العلماء والمفسرين[1].

---

١ - انظر تفسير ابن جرير الطبرى لقوله تعالى: "وبالآخرة هم يوقنون"، وتفسير الإمام الفخر الرازى لقوله تعالى: " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر".

الثانى: وهو المرحلة التى تبدأ بالموت، استنادا إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: ان القبر أول منازل الآخرة... " الحديث،

وقد ورد مثل ذلك الرأى عند فريق من المفسرين والعلماء، وذكره ابن كثير فى النهاية فى الفتن والملاحم[1].

والمؤمن مطالب بالاعتقاد فى هذا اليوم بالمفهومين السابقين، بدءا من قضية الموت، وانتهاء بالجنة والنار ومابينهما من بعث ونشور وحساب.

أما الموت، فربما لا نجد من ينكره لانه أمر محسوس مشاهد. ولكن الجحود والنكران فيمن يحيى ويميت، وهى قضية أثارها النمرود مع ابراهيم عليه السلام، حين أسند لنفسه القدرة على إيقاع الموت، ومنح الحياة.

والمفهوم الإسلامى الأولى يتلخص تجاه قضية الموت فى نقاط أساسية هى من متطلبات إيمان المرء:

فالله وحده هو المحيى والمميت:

"انا نحن نحيى ونميت وإلينا المصير" ق:٤٣

"والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير" آل عمران:١٥٦.

"وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار "المؤمنون: ٨٠

"وهو الذى أحياكم ثم يميتكم" الحج:٦٦

"الذى خلق الموت والحياة" الملك: ٢

والموت عام لكل الناس بل ولكل المخلوقات:

"كل من عليها فان" الرحمن"٢٦

"كل شىء هالك إلا وجهه" القصص:٨٨

---

١ - النهاية فى الفتن والملاحم ، لابن كثير، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز، دار التراث الإسلامى بالأزهر، ج١، ص٣١.

"كل نفس ذائقة الموت" آل عمران: ١٨٥
"وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون"الأنبياء: ٣٤

والنفس لا تدرى زمان ومكان موتها:
"فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون" النحل"٦١
"وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت . إن الله عليم خبير " لقمان: ٣٤.

وتبدأ أولى مراحل الأنكار البشرى فيما بعد الموت، ونعنى بذلك تلك الفترة البرزخية، وهى تلك المرحلة الواقعة من بعد الموت إلى البعث. وعقيدة المسلمين تستوجب الإيمان بأحداث هذه المرحلة الانتقالية والتى فيها يعذب المرء وينعم، وفيها سؤال الملكين، ورؤية الإنسان لمنزلته فى الجنة أو النار، وقد ورد فى ذلك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة، وأصبحت مسألة الحياة البرزخية من القضايا المسلم بها عند أصحاب الاعتقاد السليم، ولا نرى هنا مجالا لخوض تفاصيلها وماقيل عنها وفيها[١] ونكتفى بما قال له ابن القيم فى هذا المقام:

"إن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب، وإن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وإن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل أحيانا ويحصل لها معها النعيم أو العذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين"[٢].

١- انظر حديث النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى بسنده عن أنس بن مالك وفصل فيه بعض مشاهد هذه المرحلة. البخارى ج٣ ، ص١٨٣ - ١٨٦

٢- ابن القيم ، الروح، مكتبة السلام العالمية، ص٨٧.

والبعث قضية من قضايا الإيمان فى الإسلام، وفكرته فكرة إنسانية تهدف الخير لكل البشر وتختلف عن مثيلتها فى الديانات المحرفة الأخرى وفى الوثنيات، إذ أن صورة البعث الإسلامى تقوم على أسس وركائز من الحق والعدل والرحمة.

والإسلام الذى لم يترك الإنسان فى الدنيا حائرا تتقاذفه الأباطيل والأوهام، ماكان ليتركه حتى يواجه البعث دون معين ومخلص، إذ أمده فى دنياه بما ينجيه فى آخرته، وترك له من المنارات الهادية، والتحذيرات المتتالية، ما يقوده إلى السعادة فى الدارين.

فالإيمان بالبعث إذن ضمان للأمن والسعادة، ونكرانه والتكذيب به يقود إلى الهلكة والخسران، ولما كان الإسلام حريصا على حياة الإنسان فى الدنيا والآخرة، وكفل له الضمانات التى تتحقق بها سعادته، فقد جعل الإيمان بالبعث من الإيمان بالله، والكفر به من الكفر بالله.

وقد جاء اهتمام القرآن الكريم بالبعث من خلال منظورين هامين:

الأول، ويعرض فيه لصورة البعث كواقعة من واقعات اليوم الآخر، والثانى، يناقش فيه هؤلاء المنكرين للبعث ويفند مزاعمهم.

ومن المشاهد التى تصور البعث فى القرآن الكريم قوله تعالى:

"ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين" النمل: ٨٧.

" إن يوم الفصل كان ميقاتا. يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا. وسيرت الجبال فكانت سرابا". النبأ: ١٧ - ٢٠.

"ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون. قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون. إن كانت لا

صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون. فاليوم لا تظلم نفس شيئا" ولا تجزون إلا ماكنتم تعملون" يس: ٥١ - ٥٤.

"فتولّ عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر. خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر" القمر: ٦-٨

"فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة. وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة. فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية" الحاقة: ١٣- ١٦.

والآيات الكريمة التى تتناول تفاصيل يوم البعث أو يوم القيامة عديدة، وهى ترسم لنا أهوال ذلك اليوم ويكفى فى هذا المقام أن نذكر بسورة التكوير حيث يقول الله تعالى:

" إذا الشمس كورت. وإذا النجوم إنكدرت. وإذا الجبال سيرت. وإذا العشار عطلت. وإذا الوحوش حشرت. وإذا البحار سجرت. وإذا النفوس زوجت. وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت. وإذا الصحف نشرت. وإذا السماء كشطت. وإذا الجحيم سعرت. وإذا الجنة ازلفت. علمت نفس ما أحضرت."

هذه الوقائع التى لو صورت بوسائل العصر الحديث لاقشعرت لها الأبدان، وشابت لها الولدان. ليست لزرع اليأس والقنوط فى النفوس، بل على العكس ، هى لاتخاذ الحيطة والحذر فى الدنيا ، ليأمن لمرء من هذه الأهوال فى الآخرة.

يعلق سيد قطب- رحمه الله - على هذه الآيات فيقول:

"هذا هو مشهد الانقلاب التام لكل معهود ، والثورة الشاملة لكل

موجود. الانقلاب الذى يشمل الأجرام السماوية والأرضية، والوحوش النافرة والأنعام الأليفة ، ونفوس البشر، وأوضاع الأمور، حيث ينكشف كل مستور، ويعلم كل مجهول، وتقف النفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد فى موقف الفصل والحساب وكل شىء من حولها عاصف، وكل شىء من حولها مقلوب!

وهذه الأحداث الكونية الضخام تشير بجملتها إلى أن هذه الكون الذى تعهده. الكون المنسق الجميل، الموزون الحركة، المضبوط النسبة، المتين الصنعة، المبنى بأيد وإحكام. أن هذا الكون سينفرط عقد نظامه، وتتناثر أجزاؤه، وتذهب عنه صفاته هذه التى يقوم بها، وينتهى إلى أجله المقدر، حيث تنتهى الخلائق إلى صورة أخرى من الكون ومن الحياة ومن الحقائق غير ماعهدت نهائيا فى هذا الكون المعهود.

وهذا ماتستهدف السورة إقراره فى المشاعر والقلوب كى تنفصل من هذه المظاهر الزائلة - مهما بدت لها ثابتة. وتتصل بالحقيقة الباقية.. حقيقة الله الذى لايحول ولا يزول، حين يحول كل شىء من الحوادث ويزول. ولكى تنطلق من إسار المعهود المألوف فى هذا الكون المشهود. إلى الحقيقة المطلقة التى لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا رؤية ولا حس ، ولا مظهر من المظاهر التى تقيدها فى ظرف أو إطار محدود!" [1].

تلك بعض مظاهر يوم القيامة كما صورها القرآن الكريم، من خلال المنظور الأول الذى تناول به قضية البعث.

أما المنظور الثانى لقضية البعث، حيث كشف القرآن الكريم زيف

١- سيد قطب، فى ظلال القرآن ، دار الشروق، المجلد الس[illegible]س، ط٩، ١٩٨٠، ص ٣٨٣٧.

وبهتان المكذبين به والمنكرين له، فقد عكسته كذلك آيات كريمة عديدة، نذكر بعضها فى هذا المقام.

يقول الحق تبارك وتعالى:

"وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون. أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون".: ٧٨ - ٨٣.

"ق. والقرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب. أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد. قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ. بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج. أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى فأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب. ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد. زرقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج" ق: ١-١١

"وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا. قل كونوا حجارة أو حديدا. أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا. يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا" الإسراء: ٤٩ - ٥٢.

***

ويقول سبحانه وتعالى فى مواضع أخرى:

"قتل الخراصون. الذين هم فى غمرة ساهون. يسألون أيان يوم الدين. يوم هم على النار يفتنون. ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون"

الذاريات: ١٠-١٤.

"إن عذاب ربك لواقع. ما له من دافع. يوم تمور السماء مورا. وتسير الجبال سيرا. فويل يومئذ للمكذبين. الذين هم فى خوض يلعبون. يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون. أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون. اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ماكنتم تعملون" الطور ٧-١٦

"قل إن الأولين والآخرين. لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم، ثم انكم أيها الضالون المكذبون. لآكلون من شجر من زقوم. فمالئون منها البطون. فشاربون عليه من الحميم. فشاربون شرب الهيم. هذا نزلهم يوم الدين" الواقعة: ٤٩ - ٥٦.

والمتأمل فى المجموعتين السابقتين من الآيات الكريمة، سيجد أن القرآن الكريم قد اتخذ فى مجادلة هؤلاء المنكرين طريقين ومنهجين. الأول، وهو المنهج العقلانى الذى يخاطب فيه عقول هؤلاء المنكرين وأذهانهم، ويورد فيه الدليل العقلى الذى يقوم على منطق يسير: فإذا كان الله تعالى هو الذى خلق الكون بما فيه ومن فيه، فهو القادر على أن يعيد خلق هذه المخلوقات، ومنحها الحياة مرة أخرى بعد الموت. إنها مسألة منطقية للغاية وبخاصة أن هؤلاء المنكرين للبعث، لم ينكروا إسناد الخلق لله تعالى وحده، وإنما استبعدت عقولهم القاصرة وأذهانهم الضيقة، أن تعود هذه المخلوقات إلى الحياة مرة أخرى بعد أن تصبح عظامها رميما.

أما المجموعة الثانية من الآيات فتوضح لنا المنهج الثانى الذى اتبعه القرآن فى مجادلة المنكرين للبعث، وهو منهج وجدانى، يعتمد على مخاطبة الروح والمشاعر والأحاسيس، فالإنسان ليس عقلا محضا، ولا مشاعر خالصة، وإنما هو مزيج من العقل والوجدان، من الفكر والأحاسيس.

ويستخدم الحق تبارك وتعالى فى هذا المنهج رسم صور المنكرين للبعث يوم القيامة، عن طريق إحداث هزات للوجدان، من شأنها أن تقول للعقل: قف عند هذا الحد، وتشرك معه عوامل أخرى للادراك.

ونحن فى حياتنا هذه ، ننساق وراء عقولنا، والعقل ليس بمنأى عن الزلل والخطأ، فإذا لحقت بنا لامة أو طامة، هزتنا من الأعماق، فانتبهنا إلى ماقادنا إليه العقل من خطأ.

وهناك بين المنهجين منهج ثالث، يعمد - بأسلوب غير مباشر - إلى عرض الحقائق الإلهية التى لا تقبل الجدل عن طريق طرح المتناقضات، وذلك عن طريق تصوير أحوال المصدقين بالبعث وهم ينعمون فى الجنة، وأحوال المنكرين المكذبين فى النار، دون أن يعمد إلى توجيه خطاب مباشر إلى هؤلاء المنكرين، بل متعمدا تجاهلهم وعدم الإلتفات إليهم، وهى إحدى طرق التأثير الوجدانى القوى المفعول، ويتجسد هذا المنهج فى قصة أصحاب الأعراف التى صورتها سورة الأعراف الكريمة[١]، كما نجده أيضا بوضوح فى سورة الدخان[٢].

وليس من شك فى أن القرآن الكريم فى حديثه عن الآخرة، بأسلوبه المعجز، يجعل الإنسان يعيش مشاهد القيامة معايشة واقعية ، وينسى فى معرض تدبره لهذه الآيات ان هذه المشاهد مستقبلية، ويصل الإعجاز القرآنى، كما يقول محمد قطب - إلى ان تصبح الآخرة - التى لم تأت بعد - كأنها الحاضر الذى يعيشه الإنسان، ويصبح الحاضر الذى يعيشه بالفعل كأنه ماض سحيق تفصله عن الإنسان آماد وأبعاد.[٣].

١- انظر سورة الأعراف: ٣٥ - ٥١

٢- انظر سورة الدخان ٤٠ - ٥٠

٣- محمد قطب. دراسات قرآنية، دار الشروق، د. ت، ص ٨١.

الباب الثالث

عقيدة أهل الكتاب

الفصل الأول

التوحيد

سنفصل فى الحديث عن التوحيد بين النصارى واليهود، وذلك للاختلاف الواضح والبين بين الفريقين، وعدم وجود رابطة بين المفهومين، على عكس ما قد نجده فى القضايا العقدية الأخرى، حيث يرتكز الإيمان النصرانى على كتاب اليهود المقدس والمعروف بالعهد القديم. فهم يؤمنون بما فيه على الاطلاق، ومن ثم فاننا نجد التجديد العقدى النصرانى يبرز بالدرجة الأولى فى مجال التوحيد بما يختلف تماما عما عند اليهود.

ولما كان اليهود أسبق فى العقيدة من النصارى، فسنعرض للتوحيد أولا عند اليهود ثم نتبعه بتوحيد النصارى، معتمدين فى ذلك على نصوصهم المقدسة ثم أقوال العلماء وانتقاداتهم، مستبعدين كل ما لا يمت للأسلوب العلمى والموضوعى بصلة.

* * *

لاشك فى أن اليهود أصلا موحدون، ولكنهم لم يكونوا أول من عرف البشرية هذا التوحيد، وقد وصلوا إلى التوحيد عن طريق التطور. ورغم دعوة موسى – عليه السلام – التوحيدية نراهم لم يتمكنوا من التخلص من طور التعددية إلى طور التوحيد إلا بعد كفاح طويل، إذ تشهد نصوصهم المقدسة بأنهم لم يستطيعوا التخلص من آلهتهم المتعددة إلا بعد فترة طويلة استمرت حتى عهد عزرا ونحميا من أنبيائهم، فى حوالى القرن الخامس الميلادى.

أما أصل التوحيد اليهودى، فلن نرجعه كما ذهب بعض العلماء إلى تأثيرات مصرية إخناتونية وهو الرأى الذى روج له سيجموند فرويد[1]

---

١ ـ سيجموند فرويد، النبى موسى والتوحيد، ترجمة ودراسة عبدالمنعم الحفنى، دار الرشاد، القاهرة ط ١ ،

وطوره آخرون[١].. أوكما رده البعض إلى تأثيرات سورية[٢]، ولكننا نؤمن بأن توحيد موسى سماوى ربانى أصلى.

والديانة اليهودية بوجه عام هى أقرب الديانات السامية الحديثة (اليهودية والنصرانية والإسلام) إلى عهد الديانات السامية القديمة[٣]، وعلى ضوء هذه الديانات القديمة يمكننا أن نلخص خصائص الديانة اليهودية[٤] فى بدايتها على النحو التالى:

الاعتماد على العقل فى سبيل الوصول إلى الحقائق الدينية والثورة على الفكر الدينى الطبيعى الذى استمد آراءه من الطبيعة المحيطة به، وهذا بدوره قد أدى إلى تغييرات ثورية جريئة أهمها:

١ ـ انتهاء العلاقة أو الرابطة الدموية (الأسرية) بين العابد والمعبود.

٢ ـ لم تعد فكرة الخلق نتيجة طبيعية لتزاوج الآلهة وإنما ردت هذه الفكرة إلى إرادة إلهية محضة.

٣ ـ اختفاء فكرة الإله الحى الميت، أى الإله الذى يموت ليبعث من جديد.

٤ ـ تغير لغة التعبير الدينية من الأساطير،إلى لغة العقل التى لا مجال فيها للخلط بين المعقول واللا معقول أو بين التاريخى والأسطورى.

٥ ـ انتهاء فكرة «صراع الآلهة» وظهور فكرة الإله الواحد العادل.

---

١ ـ أنظر, Philippe Aziz, Moise Et Akhenaton, Laffont, 1980, Christian Jacq, Akhenaton Et Nefertiti, Laffont,1976. نقلا عن: سهيل أديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، دار النفائس بيروت ط ٢، ١٩٨٥ ص ٤٤.

٢ ـ سهيل أديب،المرجع السابق ص ٤٥.

٣ ـ حول هذه الديانات أنظر : سبتينو موسكاتى، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة د، ت، ص ٥٦ ـ ٥٧.

٤ ـ محمد خليفة حسن، دراسات فى تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٥، ص ١٦٩ ومابعدها.

٦ ـ امتدادا لفكرة سيطرة الإله على الطبيعة، تطورت كذلك فكرة سيطرة الإله على التاريخ وحركته، واجتمعت الفكرتان فى شخص إله اليهود الجديد «يهوه»، وكان من نتائج ذلك تغير الطقوس السامية.

ولكن التوحيد الخالص عند اليهود كان قصير الأجل، إذا لم يلبث اليهود أن انحرفوا عن هذا التوحيد بمجرد خروجهم من مصر وعبادتهم للعجل التى تسطرها أسفارهم المقدسة، ويمكن أن نوجز مظاهر الانحراف اليهودى عن مسار التوحيد الخالص فى ثلاث نقاط:

أولا : تخصيص رسالة التوحيد وقصرها على الشعب الإسرائيلى فقط.

ثانيا : عبادة الآلهة الأخرى للشعوب المجاورة.

ثالثا : تحريف النصوص المقدسة.

ويعتبر تخصيص رسالة التوحيد للإسرائيليين من مظاهر الردة الدينية، وقد كان لمثل هذا العمل آثاره السلبية على نشر عقيدة التوحيد بين الجماعات والأقوام التى التقى بها اليهود فى سيناء، ومن ثم أصبح الإله الخالق الواحد إلها محليا قوميا لا يعنيه سوى أمر اليهود. وقد تطورت الطقوس والعبادات فى نفس هذا الاتجاه العنصرى، وتم الربط بين السياسة والدين وبين الأرض، ولذلك اهتزت هذه الديانة بوقوع السبى البابلى وانتقال اليهود إلى مكان آخر غير أورشاليم المقدسة والهيكل المقدس.

وبالرغم من محاولة بعض الجماعات اليهودية كسر هذه الأطر العنصرية وفتح الديانة للعالمية، إلا أن هناك جماعة كبيرة حافظت على هذه الخصوصية، بل وطورت فى إطار عنصريتها أفكارا أخرى كفكرة الخلاص التى ستتحقق على يد مخلص يهودى وللشعب اليهودى فقط دون البشرية جمعاء[1].

---

١ ـ محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

وأما عبادة الآلهة الأخرى فقد كان لها نصيب من الديانة اليهودية، وربما يمكننا أن نستنتج من كثرة أنبيائهم، كثرة انحرافهم عن الوحدانية الخالصة.

وقد أخذ اليهود من عقائد الكنعانيين وآلهتهم ماراق لهم[1]، بل كادت تختفي عبادة إلههم «يهوه» في ظل عبادتهم للإله الكنعاني «بعل»[2] ويشهد نقش ميشع مقارنة لقوة الإله «يهوه» بالإله المؤابي شموش، مما يوم يوحي باعتراف يهودي واضح بوجود آلهة أخرى [3].

يقول J. shot well أن اليهود كانوا في مطلع ظهورهم علي مسرح التاريخ بدواً رحلاً تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين والاعتقاد في الأرواح، وكانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار[4].

ويقول Reinach أن اليهود اتخذوا في بيوتهم أصناما صغيرة كانوا يعبدونها وينتقلون بها من مكان إلى مكان[5] .

ومعبودات اليهود على مر تاريخهم كثيرة. قبل بعثة موسى عليه السلام، وأثناء وجوده بينهم، وبعده حتى عصرنا هذا.

ويقص علينا Oesterley and T. Robinson في سفرهما عن الديانة العبرية وأصولها وتطورها ما أخذه اليهود على مر تاريخهم من عقائد

---

١ ـ Norman H. BeynesIisrael Amongst the Nations, London, 1928, p.50.

٢ ـ Robertson Smith, The Prophets of Israel, london, 1897, p.47. وقد ورد في سفر القضاة عبادة بني إسرائيل للبعليم وعشتاروت (٢: ١١ ـ ١٣).

٣ ـ المرجع السابق ،ص ٥٥.

٤ ـ The Religions Revelution of Today, P.30 نقلا عن أحمد شلبي، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، ط ٣، ١٩٧٣، ص ١٧٢.

٥ ـ Civi ization of the Near East, p. 86 and88 نقلا عن أحمد شلبي، المرجع السابق، ص ١٧٣.

الشعوب الأخرى التى اختلطوا بها[1].

ومن أبرز معبودات اليهود التى سجلها كتابهم المقدس كدليل إدانة لا يرقى إليه شك، والتى أحصاها الباحثون المنقبون من اليهود أنفسهم والغربيين، نقدم هذه القائمة الأولية التى لا نزعم فيها إحصاء كل ماعبدوه وإنما نقدمها كنماذج بخرق التوحيد النقى فى العقيدة اليهودية:

١ ــ العجل ..

يقول كتاب اليهود المقدس:

«ولما رأى الشعب أن موسى ابطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن هذا الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتونى بها فنزع كل الشعب اقراط الذهب التى فى آذانهم.. وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال غدا عيد للرب. فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب» سفر الخروج ٣٢ : ١ ـ ٦.

يقول ول ديورانت[2] أن بنى إسرائيل لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبى لأن عبادة العجول كانت لاتزال حية فى ذاكرتهم منذ كانوا فى

١ ـ W.O.E. Oesterley and Theodore H. Robinson, Hebrew Religion. Its Origin and Developmen, London, Undated.

٢ ـ قصة الحضارة جـ ٢، ص ٢٣٨.

مصر، وظلوا زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان القوى آكل العشب رمزا لإلههم، إذ نجد يربعام بن سليمان ـ حسب رواية النصوص اليهودية المقدسة ـ يصنع عجلين من الذهب ليعبدهما أتباعه حتى لا يكونوا بحاجة إلى الذهاب إلى الهيكل ..

«وبنى يربعام شكيم فى جبل إفرايم وسكن بها .. فاستشار الملك وعمل عجلى ذهب وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشاليم. هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر» سفر الملوك الأول ١٢: ٢٥ ـ ٢٨.

٢ ـ الحية :

كانت الحية من معجزات موسى عليه السلام، ويروى كتاب اليهود المقدس أن موسى صنع حية من نحاس وأن قومه عبدوها من بعده.

«وفى السنة الثالثة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل.... وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان» سفر الملوك الثانى ١٨: ١ ـ ٤.

٣ ـ آلهة الشعوب الأخرى :

تقص علينا أسفار اليهود المقدسة (وهى أيضا مقدسة لدى النصارى) أن سليمان قد عبد آلهة الأمم الأخرى وتذكر بعضها فيما يلى:

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه. وكان فى زمان

شيخ خة سليمان أن نسا ، أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب دار أبيه، فذهب سليمان وراء عشتورت الاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين، حينئذ بنى سليمان سرتفعا لكموش رجس الموآبيين علي الجبل الذى تجاه أو ـاليم ولمولك رجس بنى عمون وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللوا ي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن» سفر الملوك الأول ١١: ١ ـ ٨.

والنص السابق يذكر أربعة من الآلهة فقط بأسمائهم وهم عشتورت وملكوم وكموش ومولك، لكنه يترك لنا الباب على مصراعيه حيث يبين لنا أن سليمان قد أرضى جميع نسائه ـ وعددهم فى النص السابق ألف ـ وعبد آلهتهن.

وقد أراحنا باحث يهودى معاصر هو الدكتور رفائيل بتاى[1]، فقدم لنا قائمة موثقة تاريخيا بأسماء الآلهة التى عبدها بنو إسرائيل وضمت الأسماء التالية:

* الآلهة «عشيرة» وقد عبدها العبرانيون منذ احتلالهم أرض كنعان وحتى النفى البابلى عام ٥٧٦ ق.م ومن أسمائها أيضا «اللاة» أو «اللاتو» وكانت الإلهة الرئيسية لدى الكنعانيين القاطنين أوغاريت فى رأس الشمرا.

* الالهة «عشتروت ـ أناة»، ابنة الإلهة عشيرة وكان الكنعانيون يعبدونها إلى جانب «اشتار» نجمة الصبح.

* الكروبيم وهى منحوتات ذات أشكال بشرية مجنحة، مازالت محل تقديس وعبادة من قبل أتباع القبلاه[2] اليهودية.

---

١ ـ Raphael Ptai, The Hebrew Goddess, Avon Discus, NewYork,1978 نقلا عن سهيل أديب، المرجع السابق، ص ٤٧ ومابعدها.

٢ ـ القبلاه تعنى الأشكال المتطورة للتصوف اليهودى، وتشير كذلك إلى المذاهب الباطنية فى اليهودية منذ العصر المسيحى. وهى تمثل الازدهار الأقصى للتفكير الأسطورى فى اليهودية حيث ترتبط بعدد من العلوم السحرية كالتنجيم والفراسة وقراءة الكف وتحضير الأرواح. ويؤمن أتباع القبلاة بالمنطق الخفى للحروف. وأهم كتاب لهؤلاء يسمى الزوهار.

* «الشخينة»، وقد جعل منها التلموديون وأتباع القبلاة إلهة أنثى وهى تشكل أحد أركان القبلاه حتى يومنا هذا.

* «رباعية القبلاه» وتتألف من «عائلة» الله، أى الأب والزوجة والابن والابنة وهى جزء مهم من القبلاه.

* «ماترونيت» وهى الابنة، أى الالهة الرابعة لدى أتباع القبلاه، وهى تمثل الطهارة والاختلاط الجنسى والأمومة والحرب.

* «ليليت» وهى مأخوذة عن مجمع آلهة السومريين وتمثل الشر، وقد استمرت عبادتها لدى اليهود الحسيديم[1] حتى قرننا هذا، والاعتقاد بها حاليا يتفق تماما وما كانت عليه لدى السومريين منذ ٢٥٠٠ قبل الميلاد.

* «السبت» أو «السابات» وقد جعل منها بعض فئات اليهود إلهة تمثل الجنس والعلاقات الجنسية.

ومازالت طوائف عديدة من اليهود من أمثال التلموديين وأتباع القبلاه ويهود الفلاشا الأحباش يعتقدون فى هذه الإلهة.

وأبرز إله عند اليهود هو «يهوه»، وأسماؤه وصفاته مضطربة فى النصوص اليهودية المقدسة.

وهو ليس الإله الواحد الأحد فى العقيدة اليهودية فى قمة توحيدها. فالتوراة تنسب لموسى ترنيمة له ولبنى إسرائيل تمجيدا وتعظيما للرب بعد أن أنجاهم وأغرق فرعون.. ترسم لنا صورة الوحدانية اليهودية آنذاك:

---

١ ـ الحسيديم هم أتباع الحركة الحيوية اليهودية التى ظهرت فى أواخر القرن ١٧ بهدف إيجاد طريقة جديدة لعبادة الرب تقوم على أساس أن كل فرد عادى عليه أن يجد الله بنفسه لأن الالوهية موجودة فى الخليقة، كما تدعو إلى ممارسة العبادة بعيدا عن الحزن، وكانت ترفض التلمود. ويحتوى فكر هؤلاء الحسيديم على كثير من الخرافات، وتمارس طقوسهم بصورة بدائية وذات حركات جنسية. وينتشر الحسيديم فى كثير من الدول وبخاصة فى أمريكا وفي نيويورك على وجه الخصوص.

«من مثلك بين الآلهة يارب.. من مثلك معتزا فى القداسة. محفوفا بالتسابيح. صانعا عجائب» سفر الخروج ١٥ : ١١.

فهناك آلهة أخرى، ويهوه هو أقدسها وأعظمها، وهذا لا يتفق والتوحيد الخالص النقى الذى أتى به موسى عليه السلام، مما يؤكد تحريف هذا النص أو اقحامه بالكلية.

أما أسماء وصفات يهوه، فهى تتأرجح بين السمو الإلهى، وبين التجسيد، فانوصايا العشر تسمو به عن الاحاطة والحصر، وباقى أسفار التوراة يقدم لنا صورة لا تليق بالرب.

فإله بنى إسرائيل مهان (سفر العدد ١٤: ٢٣).

وسريع الغضب (سفر العدد ٢٢: ٢٢، ٣٢).

وهو ينتعش ويتلذذ برائحة الشواء (سفر العدد ٢٨: ١، ٦، ٨ ..).

وهو يتعب ويستريح (سفر التكوين ٢٠: ٢ ـ ٣، سفر الخروج ٢٠: ١١، ٣١).

وهو ينسى ويتذكر (سفر الخروج ٢: ٢٤ ـ ٢٥، ٣٢ : ١٣).

وهو إله محلى قبلى (سفر الخروج ٢: ١٨، ٢٠، . . .).

وهو أفضل الآلهة الموجودة (سفر الخروج ١٥: ١١).

ويمكن رؤيته (سفر الخروج ٢٣: ٢٣ ـ ٣٣).

ولا يعلم كل شيء (سفر الخروج ٢٤: ٩ ـ ١١).

ويندم على أفعاله (سفر الخروج ٣٢: ١٤، صموئيل الأول ١٥: ١٠).

وآخر مظهر من مظاهر الانحراف اليهودى عن مسار التوحيد يتمثل في تحريف النصوص المقدسة بما يتفق وأهواء محرفيها من الأحبار والكهان.

وصور التحريف متغلغلة فى كل موضوعات النصوص المقدسة. ولاشك

أن من بين هذه التحريفات تلك الصفات التى ألحقت بالإله المعبود والتى ذكرنا بعضها آنفا، وتلك النصوص الخاصة بالأنبياء والتى سنتناولها فيما بعد، فلا يمكن لدين توحيدى على الاطلاق أن يكون هذا هو إلهه وهؤلاء هم أنبياؤه.

ومن صور التحريف مايتعلق بالعهد الإلهى المتمثل فى الاختيار. فالوعد بالأرض لنسل إبراهيم كما ورد فى النصوص المقدسة[1] . وقبل مجيء إسحق، فلما ولد، تغير الوعد وأصبح خاصا بإسحق ونسله[2] .

وقصة شراء يعقوب لحق البكورة من عيسو هى قصة تفوح فيها رائحة الانتحال، ولا يمكن أن يقع فى مثلها الشرفاء من عامة البشر، فما بالنا نرى الأنبياء أبناء الأنبياء يقعون فيها إلا لو كان من وراء ذلك مقصد معين وغرض محدد[3] ؟!

وكان من نتائج التحريف أن ظهرت الشرائع اليهودية بصورة عنصرية للغاية. فالعبرى لا يستعبد، بينما يستعبد الآخرون (سفر اللاويين ٢٥: ٣٩ ـ ٤٦).

والأجنبى لا يأكل من الطعام المقدس (سفر اللاويين ١٢: ١٠).

والعدل فى الأحكام للأقرباء فقط (سفر اللاويين ١٩: ١٥).

وهناك عشرات النماذج التى تشير إلي التحريف الصارخ، لتناقضها مع نصوص أخرى، أو لتعارضها مع التاريخ، أو لعدم منطقيتها، مما يمكن لنا أن نسميه بنصوص اللامعقول فى الشرائع اليهودية.

---

١ ـ أنظر سفر التكوين ١٣: ١٤ ـ ١٧، ١٥: ١٨، ١٧: ٧ ـ ٨.

٢ ـ سفر التكوين ١٧: ١٨ ـ ٢٢.

٣ ـ سفر التكوين ٢٧: ١٥ ـ ٣٢.

بل أن النصوص المقدسة تضم أحكاما مختلفة ووقائع تاريخية خاطئة من سفر إلى آخر، ومثال ذلك ماورد فى الإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد إذا ماقورن بالاصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال.

وفى سفر أخبار الأيام الثانى يرد مايلى:

«... لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاذ ملك إسرائيل» (٢٨: ١٩).

بينما آحاذ كان ملكا ليهودا وليس لإسرائيل.

وفى الاصحاح الأخير من نفس السفر قالوا بأن الملك نبوخذ نصر عزل يهوياكين عن أورشاليم وملك أخاه صدقيا على يهوذا وأورشاليم (٣٦: ٩ - ١١).. والحقيقة أن صدقيا كان عم يهوياكين وليس أخاه.

والسبب وراء كل هذه الانحرافات هو أن ذلك الكتاب الماثل بين أيدينا والمسمى بالعهد القديم وهو أساس العقيدة اليهودية والنصرانية، ليس وحيا من الله تعالى وإنما هو كتاب تم تأليفه فى عصور مختلفة وفى أماكن متباينة، وقد أجمع على ذلك الباحثون والناقدون له من علماء الغرب والشرق، بل إننا لا نملك النسخة الأصلية لهذا الكتاب ولا نعلم شيئا يقينيا عن لغتها، والكتاب فى حد ذاته تاريخ لنفسه، فقد ضاعت توراة موسى (سفر الملوك الثانى ٢٢: ٨ - ١٣) لعدة قرون.

ويؤكد العلماء على أن الكتاب المقدس الذى بين أيدينا ينتمى إلى أربعة ينابيع مختلفة[1]، اثنان منهما جوهريان قديمان، والثالث منفصل عنها فى زمانه ومضمونه، وأما الرابع فإنه ينبثق فى مواضع معينة بصورة

---

١. S.R. Driver, An Introduction to the Literature of the Old Testament, 9 th edition, Edinburgh, 1979, p 1255, lucien Gautier, intra duction a l' Ancien testament, 2 Vols. payot - Suisse, 1934, Paul Fargues, Introduction a' l' Ancien Testament, Paris, 1939..

نقلا عن حسن ظاظا، الفكر الدينى اليهودى، أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٩٨٧، ص ٢٦ - ٢٨.

تكميلية وتوضيحية فقط وهو أحدثها تاريخا، وهذه المصادر هى المصدر اليهوى (نسبة إلى إسم الإله يهوه) ورواته كانوا فى الجنوب فى مملكة يهوذا وعاصمتها القدس، والمصدر الالوهيمى (نسبة إلى إسم الإله الوهيم) ورواته فى الشمال، حيث مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة، ومصدر تثنية الشريعة وهو في جوهره تشريعى بحت، صادر عن وسط مثقف، ويرجع تاريخه إلي سنة ٦٢١ ق.م، والمصدر الرابع والأخير هو حواشى الكهنة ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

ومما يذكر أن العهد القديم يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية مقسمة إلى أربعة وعشرين سفرا وتعرف باسم «تاناخ» وهى الأحرف الأولى من أسماء الأجزاء الثلاثة وهى التوراة والأنبياء والكتب.

أما التوراة فتشمل أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية. وأسفار الأنبياء هى: يشوع والقضاة وصموئيل والملوك وأشعياء وأرميا وحزقيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجاى وزكريا وملاخى. وأخيرا نجد أسفار الكتب وهى التى تتألف من قصائد دينية وحكم وهى المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الأناشيد وراعوث والمراثى والجامعة واستير ودانيال وعزرا ونحميا والأخبار.وهناك أسفار أخرى غير قانونية وتدعى «الأبوكريفا» لا تحظى بنفس الدرجة من القداسة.

***

وبعد ..

فهذه نبذة موجزة لتوحيد اليهود وعقيدتهم وإلههم وكتابهم المقدس، ولا يمكن لنا مقارنتها بما سبق وأن عرضنا له فى حديثنا عن التوحيد فى

العقيدة الإسلامية، ولنعرض الآن لصورة أخرى من صور الانحراف العقدى فى مجال التوحيد عند أهل الكتاب ممثلة فى معتقدات النصارى فى هذا الشأن، وسنحاول البعد عن تعقيدات المذاهب المختلفة متوخين أيسر الطرق وأسهلها، ومعتمدين كذلك على نصوصهم المقدسة وآراء علمائهم بالدرجة الأولى.

مازالت صورة التوحيد النقى بارزة فى بعض فقرات الأناجيل، ولا أدرى لماذا تزيغ النفوس؟ تترك الواضح وتسير وراء الغامض. لقد كان التوحيد الخالص لله هو أساس دعوة المسيح عليه السلام، فقد جاء فى الإنجيل:

«ثم أخذه أيضا إبليس (أى أخذ المسيح) إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى، حينئذ قال له يسوع اذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (متى ٤: ٨ ـ ١٠).

وجاء أيضا:

«فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه أجابهم حسنا سأله أية وصية هى أول الكل، فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكر لك ومن كل قدرتك.. فقال له الكاتب جيدا يامعلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس له آخر سواه» (١٢: ٢٨ ـ ٣٢).

وجاء أيضا:

«وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته» (يوحنا ١٧: ٣).

كما تبرز كذلك بعض الصفات الخاصة بالله في بعض الفقرات من العهد الجديد، توضح لنا صورة من تعاليم المسيح عليه السلام:

«ملك الدهور الذى لا يفني ولا يرى. الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور». (رسالة بوليس إلى أهل رومية ١ : ٢).

«الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله» (رسالة بولس إلى أهل رومية ٢: ٥).

«لأن كلمة الله حية وفعاله وأمضى من كل سيف ذى حدين، وخارقة إلى معرفة النفس والروح والمفاصل والنخاع ومميزة أفكار القلب ونياته، وليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا" (الرسالة إلى العبرانيين ١٤: ١٢ ـ ١٣).

ونجد أيضا هذا النص الشامل لصفات عديدة لله:

«الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه منه إذ هو رب السماء والأرض، ولا يسكن فى هياكل مصنوعة بالأيادى، ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شيء إذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شيء.. وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض وختم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه، مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيدا» (أعمال الرسل ١٧: ٢٤ ـ ٢٧).

الفقرات السابقة تتفق والجوهر العام لدعوة التوحيد التى جاء بها الرسل، وهى واضحة لا لبس فيها ولا إبهام، ولكننا نجد إلى جانبها ماينقض ويعكر هذا التوحيد الخالص، إذ يعتقد النصارى فى أن الله سبحانه وتعالى جوهر واحد وثلاثة أقانيم (أشخاص):

أقنوم الآب، واقنوم الابن، وأقنوم روح القدس.

وانها واحدة فى الجوهر، مختلفة الأقانيم.

وقال بعضهم: إن الأقانيم أشخاص وذوات

وقال البعض الآخر: إنها خواص.

وقال آخرون: إنها صفات.

وذهب البـعض إلى أن اقنوم الآب هو الذات، وأقنوم الابن هو الكلمـة، وهى العلم، وإنهـا لم تزل متـولدة من الآب، لا على سـبيـل التناسل، بل كتولد ضيـاء الشمس من الشمس، وأن اقنوم روح القدس هو الحياة، وانها لم تزل فايضة بين الآب والابن[1].

ومما لاشك فيـه أن مذهب النصـارى فى التوحيـد كان واحدا لفـترة من الزمن إزدهرت فيها الثقافة اليونانية ومن ثم حاول بعض الفلاسفة التوفيق بين النظرية النصـرانيـة وفلسـفـة العـصـر، وقـام أكليـمنص الاسكندرى وأوريجانوس بتكوين مدرسة نصرانية ذات لاهوت فلسفى كانت محل شك وريبـة من قـبل الكنائس وقـتـئـذ، واضـطر أوريجـانوس إلى الرحـيـل إلى فلسطين حيث أسس فيـها مدرسة على غرار المدرسة السابقة التى أسسـها فى الاسكندرية، وقـد سـاهمت المدرسـة الفلسطينيـة فى قـيـام مـدارس مشابهة، وكانت أولها مدرسة انطاكية التى أسسها مليطون عام ٢٧٠م، والتى واجهت فكرا مخالفا لها على يدي بولس السميساطي الذى زعم أن

١ ـ نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب، النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية، تقديم وتحقيق وتعليق محمد عبدالله الشرقاوى. دار الصحوة، القاهرة ١٩٨٦، ص ٥٦ ـ ٥٧.

ولمزيد من التفاصيل حول الأقنوم أنظر : الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم، رسالة «وحدانية الخالق وتثليث أقانيمه» لايليا مطران نصيبين، نشرت ضمن مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء من علماء النصرانية، جمعها Paul Shath وحققها ونشرها بالقاهرة عام ١٨٢٩ مطبعة هـ . فريدريك.

المسيح مجرد إنسان وإن كان قد هيىء ليرقى تدريجيا إلى مرتبة اللاهوت، وقد عقدت فى إنطاكية ثلاثة مجامع فيما بين سنتى ٢٦٤، ٢٦٩م للبحث فى آرائه وانتهت إلى إدانته وصدور حكم بالحرمان عليه. ولم تلبث آراء بوليس أن عادت للظهور على يدى آريوس السكندرى المتوفى سنة ٣٣٦م، والذى ظهر فى وقت كان النصارى يعتقدون فيه أن المسيح ابن الله وانه انبثق عن الأب بطريق الفيض وليس بطريق الابوة الإنسانية وأن المسيح إله، لأن الفيض لابد أن تكون له نفس طبيعة المصدر الذى فاض منه وأن الابن نتج عن الأب فى الأزل وقبل أن تخلق العالمين، وأن الابن أو الكلمة هو الواسطة فى الخلق، لكن آريوس رفض هذه الآراء وقال أن الله خلق المسيح من لا شىء وأن المسيح إنسان وليس إلها أو شخصا إلهيا[1] .

وخاف رجال الدين من انتشار مذهب آريوس فاجتمعوا فى مدينة نيقية سنة ٢٣٥م أيام الملك قسطنطين، ليؤكدوا رفضهم لمذهب آريوس، وليصبح لكل مذهب أتباعه، وانتشرت المدارس المذهبية المختلفة لتجسد إنقسام الكنيسة، ولتتبلور أمامنا ثلاثة مذاهب نصرانية رئيسية على النحو التالى:

المذهب الأول ـ اليعقوقية:

وهم أتباع يعقوب البرادعى، ولقب بذلك لأن لباسه كان من خرق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها. وهم فرق كثيرة تتفق فى قضية أساسية وهى أن للمسيح طبيعتين: ناسوت ولاهوت، وإن هاتين الطبيعتين

---

١ مهمراد كامل وآخرون، تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى الوقت الحاضر، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٤، ص ١٢٣ ـ ١٣١.

قد تركبتا كما تركبت النفس مع البدن واتحدتا فصارتا إنسانا واحدا وجوهرا واحدا وشخصا واحدا. فهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله، وإنسان كله، وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من الطبيعتين[1].

المذهب الثانى ـ النساطرة:

وقد ذهبوا إلى القول بأن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة. واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصان ولا يمتزج بشىء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بذلك إلها وإنسانا.

وقالوا بأن مريم ولدت المسيح بناسوته، وأن اللاهوت لم يفارقه قط[2].

المذهب الثالث ـ الملكية :

وهم الروم، ويقولون أن الابن الأزلى الذى هو الكلمة تجسدت من مريم تجسدا كاملا كسائر أجساد الناس، وركب فى ذلك الجسد نفسا كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار إنسانا بالنفس والجسد اللذين هما من جوهر الناسوت، وإلها بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل. وهو شخص واحد لم يزد عدده، وطبيعتان، ولكل واحد من الطبيعتين مشيئة كاملة فله باللاهوتية مشيئة الأب والروح القدس، وله بناسوته مشيئة إبراهيم وداود.

ولهم فى ذلك أقوال مختلفة نشير إلى مصدرها[3] دون ذكرها بغية

---

١ ـ ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى، ودار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ص ١٦٤.

٢ ـ المرجع السابق، ص ١٦٥.

٣ ـ نصر بن يحيى، المرجع السابق، ص ٦٠ ـ ٦١.

التبسيط فى عرض مانهدف إليه من بيان لدرجة التوحيد عند النصارى دون الخوض فى التفاصيل.

والحقيقة التى مازالت واضحة فى الأناجيل، ان المسيح عليه السلام لم ينكر طبيعته كرسول، ولكن الاختلاف قد حدث على مايبدو نتيجة تأثيرات أجنبية من جانب وخلط فى الفهم من جانب آخر نتيجة ترجمات الأناجيل، وليس لدينا أصل هذه الأناجيل لاعادة النظر فى الترجمات، وكل مايظهر من ترجمات للكتاب المقدس حاليا هو عن الترجمة اليونانية.

فمن الأقوال التى تؤكد على بعثة المسيح ونبوته مايلى:

«الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى بل بالذى أرسلنى والذى يرانى يرى الذى أرسلنى» (يوحنا ١٢ : ٤٥).

«فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الأب أشكرك، لأنك سمعت لى وأنا علمت انك فى كل حين تسمع لى ولكن لأجل هذا الجمع قلت ليؤمنوا انك أرسلتنى»

(يوحنا ١١: ٤١ ـ ٤٢).

«الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى بل بالذى أرسلنى»

(يوحنا ١٢: ٤٤).

«لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الأب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم» (يوحنا ١٢: ٤٩).

«الحق والحق أقول لكم الذى يقبل من أرسلنى يقبلنى والذى يقبلنى يقبل الذى أرسلنى» (يوحنا ١٣: ٢٠).

«ولما دخل أورشاليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا، فقالت الجموع يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل» (متى ٢١: ١٠ ـ ١١).

وأما الاحتجاج على بنوة المسيح وأبوة الرب له فلا نجد له دليلا مقنعا،

فالكتاب المقدس بتوراته وإنجيله قد استخدم مصطلح «ابن الله» أو «أبناء الله» فى حق الآخرين، فلم تصير البنوة للمسيح وحده ولا تصير للآخرين؟

يقول الانجيل فى حق آدم انه ابن الله (لوقا ٣: ٣٨).

والناس جميعا أبوهم الله الذى فى السموات (متى ٧: ١١).

وصانعو السلام كذلك أبناء الله (متى ٥: ٩).

والمؤمنون بالله هم أبناء الله (يوحنا ١: ١٢).

والعهد القديم الخاص باليهود قد استخدم نفس المصطلح فى حق الكثيرين:

فأبناء آدم هم أبناء الله (تكوين ٦: ٢).

والناس جميعا أبناء الله (أيوب ١: ٦، ٣٨ : ٧).

والقضاة بنو العلى (المزامير ٨٢: ٦).

والنماذج الدالة على استخدام هذا المصطلح كثيرة فى كتاب النصارى المقدس بعهديه القديم والجديد، ولكننا نجد المفسرين قد التزموا بحرفيتها فيما يخص المسيح عليه السلام، وأعطوها معنى مجازيا فى حق الآخرين.

تقول دائرة معارف الأناجيل: «إن المسيح قال عن نفسه إنه ابن الإنسان سبعين مرة فى الأناجيل الأربعة».

وتضيف: «إنه لا يوجد فى أناجيل مرقس ومتى ولوقا قول للمسيح اختص نفسه بأنه ابن الله»[1].

وقد أرجع الكثير من الباحثين والدارسين للأناجيل بعض العقائد

---

١ ـ Encyclopaedia Biblica, p4696 نقلا عن أحمد أدريس، تاريخ الانجيل والكنيسة، دار حراء ـ مكة المكرمة، ١٩٨٧، ص ٣٧.

النصرانية إلى مصادر غريبة عن روح تعاليم المسيح عليه السلام، وحددوا أهم هذه العقائد الدخيلة فيما يلي:

أولا - عقيدة الحلول:

يبدأ إنجيل يوحنا بقوله:

«فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان فى البدء عند الله» ١ - ٢.

ثم يضيف بعد قليل من الفقرات:

«والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا» يوحنا ١: ١٤.

ومعنى ماسبق أن صفة الكلام الإلهية قد تجسدت فى جسم المسيح البشرى لتظهر محبتها لبنى الإنسان وتنقذهم من العذاب الأزلى.

يقول موريس ريلتن شارحا هذه العقيدة:

«يعتقد الكاثوليك أن الذات التى كانت هى الله صارت إنسانا بغير تخليها عن صفات الإلهية، يعنى إنها تلبست بوجود مثل وجودنا المحدد بالزمان والمكان وبقيت بيننا فترة من الزمان[١].

ويقول القديس أوغسطين فى كتابه عن التثليث:

«ولأن الله لم يتجسد فى جسم البشر بطريقة تنتهى معها ألوهيته التى هو فيها مساو للأب.. لهذا فإن كل إنسان يستطيع أن يدرك أن يسوع المسيح فى شكله الإلهى أفضل من نفسه، كما أنه فى حالته البشرية أقل من نفسه»[٢].

---

١ - أنظر مقال المسيحية فى Encyclopoedin of Religion and Ethics

٢ - On the Trinity, Vol. 2, p.678 نقلا عن أحمد أدريس، المرجع السابق، ص ٣٢.

ويبدو أن سبب دخول مثل هذه العقيدة إلى النصرانية يرجع إلى تلك الأقوال المنسوبة إلى المسيح عليه السلام، والتى ركز فيها على الروحانيات مثل قوله: «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠ ـ ٣٠)، حيث غالى المفسرون فى فهم معناها، وفى نفس الوقت تجاهلوا العبارات العديدة التى وردت فى نفس الأناجيل والتى تؤكد على أنه رسول من الله تعالى والتى أشرت إلى بعضها فى بداية هذا الحديث.

أما هؤلاء الذين يرون في معجزات المسيح الخارقة من إحياء للموتى وشفاء للمرضى دليلا علي ألوهيته، فقد نسوا مايذكره الكتاب المقدس ذاته من إسناد نفس المعجزات لآخرين، لم يتطور الاعتقاد فيهم على نحو ما تطور مع المسيح عليه السلام.

فهاهو اليشع يحيى صبيا بعد موته:

«ودخل اليشع البيت وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره، فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. ثم صعد واضطجع فوق الصبي ووضع فمه على فمه وعينيه علي عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه فسخن جسد الولد. ثم عاد وتمشى فى البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدد عليه فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه» سفر الملوك الثانى ٤: ٣٢ ـ ٣٥.

بل أن عظام اليشع وهو ميت تحيى الميت الذي طرح فى قبره (سفر الملوك الثانى ١٣ : ٢٠ ـ ٢١).

ويروى لنا النبى حزقيال كيف تنبأ ـ بأمر الله ـ وأمر العظام فتقاربت وكساها العصب واللحم والجلد، بل ورد إليها الروح، فقام أصحابها على أقدامهم جيش عظيم جدا جدا (سفر حزقيال ٣٧: ١ ـ ١٠).

ويوسف عليه السلام رد إلى أبيه بصره حسب رواية الاصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين.

ومعجزات النبى إيليا (الملوك الأول ١٧: ١٣ ـ ١٦) والنبي موسى (الخروج ١٤: ٢١ ـ ٢٢) وغيرهما كثيرة ويعتقد بصحتها كل نصرانى يؤمن بالكتاب المقدس.

فإذا كانت المعجزة من مبررات الألوهية، فهل يمكن أن يكون هؤلاء جميعا آلهة؟!

ثانيا: عقيدة التثليث:

وقد أشرت إليها عند العرض للمذاهب النصرانية الثلاثة: اليعاقبة والنساطرة والملكية.

وفى الحقيقة أن عقلى البشرى ليعجز عن فهم هذه العقيدة، وقد حاولت مرارا سؤال أصحابها عنها فلم أجد إجابة مقنعة من ناحية أو إجابة متفق عليها بينهم من ناحية أخرى.

فحسب مفاهيم العقل البشرى الذى لم يرسل المسيح ولم ينزل الانجيل إلا لمخاطبته نرى أن العدد (١) لا يستخدم فى علم الرياضة لاكثر من واحد ولا لأقل، ولم تصطلح البشرية منذ نشأتها على اعتبار ١+١+١=١، ولا على اعتبار ٣=١، والحقيقة أن جميع الاعداد فى الرياضة ليست إلا جمع العدد (١) أو تقسيمه. فالثلاثة ليست إلا جمعا للواحد ثلاث مرات، وذات الله تعالى منزهة عن الجمع أو التقسيم[1].

ثالثا: الكفارة

وتعنى هذه الفكرة أن المسيح عليه السلام مات مصلوبا ليخفى ذنوب كافة البشر ويصبح مخلصا لهم. تقول دائرة المعارف البريطانية فى مقالها

---

١٨٨ - أحمد ادريس، المرجع السابق، ص٤٥

عن الكفارة Atonement: المقصود بالكفارة فى علم العقيدة النصرانى تضحية المسيح التى بها يقترب الانسان المذنب من رحمة الله. ووراء هذه العقيدة مسلمتان: الأولى أن الانسان ابتعد عن رحمة الله بسبب خطيئة آدم، والثانية أن صفة الكلام الإلهية (ابن الله) إنما حلت فى جسم بشر لتعيد الإنسان قريبا من رحمة الله مرة أخرى".

ويعتقد النصارى وفق فكرة الكفارة أن المسيح عليه السلام قد حمل خطايا البشر ومات مصلوبا لينجو المؤمنون بالصليب.

تقول م. باسيلياشلينك:

"وهكذا بصورة تفوق كل فهم بشرى أسلم يسوع نفسه ليقاسى فى مكاننا، غضب ودينونة الله التى جلبتها خطايانا. لقد قاسى حتى الموت لأجلنا. احتمل يسوع العذابات التى لاحد لها.. تلك العذابات التى كانت تنتظرنا هناك فى ملكوت الموت"(١).

وتضيف فى موضع آخر:

"نعم.. ربما يكون قد عذب بكل العذابات الطبيعية والعاطفية والفكرية التى يصبها ملكوت الموتى على ضحاياه، كل هذا تحمله يسوع كحمل وديع، خاضعا لمشيئة الله، فى حبه الذى لايستقصى من نحونا فى سبيل خلاصنا"(٢).

والحقيقة أن فهمى القاصر - كبشر- لا يستطيع إيجاد اتفاق بين المفهوم السابق، وماجاء فى الكتاب المقدس من جانب، ومايقبله العقل والمنطق من جانب آخر.

فكل انسان يحمل أوزاره. العدل الإلهى يقتضى أن يحاسب المرء على أفعاله لا أفعال الآخرين، فكل نفس بما كسبت رهينة.

جاء فى الكتاب المقدس:

"لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل انسان

---

١. م . باسيليا شلينك، ماذا بعد الموت؟ ترجمة عزت زكى، المانيا ، ط١، ١٩٨٥.

٢- المرجع السابق، ص ١٦

بخطيئته يقتل" سفر الثنيه ٢٤-١٦

"كما هو مكتوب فى الشريعة فى سفر موسى: أمر الرب قائلا: لا تموت الآباء لأجل البنين ولا البنون يموتون لأجل الآباء. بل كل واحد يموت لأجل خطيئته" سفر أخبار الأيام الثانى ٢٥:٤

"فى تلك الأيام لا يقولون بعد: الآباء أكلوا حصرما وأسنان الأبناء ضرست، بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل حصرما تضرس أسنانه" أرميا ٣١: ٢٩-٣٠

"النفس التى تخطىء هى تموت" حزقيال ١٨:٤

"النفس التى تخطىء هى تموت. الابن لايحمل من اثم الأب، والأب لا يحمل من اثم الإبن. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون" حزقيال ٢٠:١٨

وحين نقر هنا بأن مثل هذه المعتقدات لاينتمى إلى تعاليم المسيح الحقة، فإننا لانقول ذلك تجنيا أو تعصبا، فمن يملك الدليل ليس بحاجة إلى الافتئات. ونحن أيضا لم نقر شيئا فريدا، فقد سبقنا المؤرخون النصارى أنفسهم وأقروا بغلبة الفلسفة اليونانية على الإنجيل.

يقول فيليب حتى:

"إن من كتبوا الانجيل خلطوا بالنصرانية أفكارا يونانية مما ساعد فى إنتشارها فى العالم كله، إذ لم يكن الرومان ولا اليونان يقبلونها مالم تكن بها عقائد يونانية"[1]

ويقول دريبر فى كتابه معركة الدين والعلم:

إن صراع النصارى والوثنيين الرومانيين أدى إلى امتزاج أصول ومبادىء كليهما ونشوء دين جديد تتضح فيه مبادىء الوثنية والنصرانية جنبا إلى جنب.. وبمرور الزمن تغيرت العقائد الدينية التى فصلها ترنلين فصارت دينا معقولا بشكل عام وان كان منحطا عن معيار الأخلاق، وقد اختلطت الفلسفة اليونانية بهذه العقائد وصبت عقيدة التثليث فى قالب الروايات

١- نقلا من أحمد اديش، المرجع السابق، ص٥٢ History of Syria, p.33

المصرية القديمة ولقبت مريم بأم الله."[1].

* * *

يبقى بعد هذا البيان لقضية التوحيد في الإسلام وفي عقائد الكتاب أن نقتبس قول المستشرق الفرنسي النصراني غوستاف لوبون بأن" الإسلام يختلف عن النصرانية، مع ذلك، في كثير من الأصول، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي"[2].

ونقتبس مرة أخرى قوله أيضا: " وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض، وفي هذه السهولة سرقوه الإسلام، والإسلام وإدراكه سهل، خال مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض ..... وانك اذا ما اجتمعت بأي مسلم من أية طبقة رأيته يعرف ماذا يجب عليه أن يعتقده ويسرد لك اصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة، وهو بذلك على عكس النصراني الذي لايستطيع حديثا عن التثليث والاستحالة وما ماثلهما من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل"[3].

١- ص٦٢، ٦٥، ٦٦، نقلا عن أحمد ادريس، المرجع السابق، ص٥٣

٢- غوستاف لوبون، المرجع السابق، ص ١٥٨.

٣- المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

الفصل الثانى
الأنبيـــاء

إذا كانت النبوة هى إحدى سمات الديانات التوحيدية بوجه عام، فإنها تعتبر من أهم الظواهر الدينية فى اليهودية على وجه الخصوص، إذ هى المفتاح الحقيقى لفهم هذه الديانة التى وصلتنا من خلال كتابات الأنبياء. ولقد سبق وان أشرت إلى أن كثرة أنبياء بنى إسرائيل تعتبر دلالة واضحة على كثرة الخروج عن الخط التوحيدى والذى تمثل فى ردة اليهود، وعودتهم إلى عبادة ماسبق وإن عرضت له فى الحديث عن التوحيد عندهم.

وإذا كان ظهور الأنبياء فى بنى إسرائيل ضرورة دينية، فقد كان أيضا ضرورة تاريخية استلزمتها أحداث الانقسام السياسى الذى شهده هؤلاء القوم فى أعقاب تفسخ مملكتهم الوحيدة وانقسامها إلى مملكتين، ثم سقوط هاتين المملكتين، حيث كان ظهور الأنبياء فى ذلك الوقت ضرورة لسد العجز السياسى الواضح، وهو ماتعكسه أدوارهم من خلال أسفار العهد القديم.

ولم يكن العاملان السابقان وحدهما من موجبات النبوة، فقد كانت هناك تغيرات اجتماعية واقتصادية فى أعقاب تأسيس مملكة داود وسليمان، وتغير البنية الاجتماعية لبنى اسرائيل، وما اتبع ذلك من التحول القبلى المرتكز على الدين، إلى مجتمع الدولة الذى فتح أبوابه أمام تأثيرات علمانية مختلفة. ولهذا رأينا دعوة الأنبياء توجه اهتمامها إلى جانب العدالة الاجتماعية والاقتصادية.

ومما يلفت الانتباه فى اليهودية، أن أولئك الذين كان لهم دور بارز فى تأسيس الديانة اليهودية لايطلق عليهم لفظ الأنبياء فى الغالب ولا يعدون منهم. فابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون يحشرون فى زمرة "الآباء" داخل التراث الدينى اليهودى، الأمر الذى يخل بمفهوم النبوة

حسب الفكر الإسلامى.

ويمكن حصر المهام النبوية فى التراث اليهودى فى الدعوة الواضحة للتوحيد ونبذ مظاهر الشرك التى تسربت إلى بنى اسرائيل، والاتجاه الاصلاحى على شتى المستويات، دينية وسياسية واجتماعية، وتحويل الشعور الدينى من مجرد العبادات والطقوس والقرابين إلى حركة إيجابية تشمل الحياة بأسرها، بالاضافة إلى البعد الاخلاقى المتمثل فى ربط الدين بالأخلاق. (١).

وإذا أردنا تعريف النبوة حسب المفهوم الإسرائيلى فاننا نقدمه من خلال فيلسوفين يهوديين أولهما هو موسى بن ميمون (١٣٥ - ١٢٠٥) وقد تأثر بالفكر الإسلامى الذى عاش فى كنفه، والذى يعكسه سفره الشهير دلالة الحائرين" حيث يقول عن النبوة:

"اعلم أن حقيقة النبوة وماهيتها هو فيض يفيض من الله عز وجل بوساطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولا ثم على القوة المتخيلة بعد ذلك، وهذه هى أعلى مرتبة الانسان وغاية الكمال الذى يمكن أن يوجد لنوعه ، وتلك الحالة هى غاية كمال القوة المتخيلة"(٢).

وثانى الفيلسوفين هو باروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) اليهودى المولود فى امستردام، وهو يرى أن النبوة هى المعرفة اليقينية التى يوحى الله بها إلى البشر عن شىء ما ، والأنبياء هم الذين يفسرون مايوحى الله به لهم ولامثالهم من الناس، الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة

١- محمد خليفة حسن، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩١، ص١٨

٢- موسى بن ميمون القرطبى الاندلسى، دلالة الحائرين، عارضة بأصوله العربية والعبرية حسين أتاى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ص ٤٠٠

يقينية به ولا يملكون إلا ادراكه بالإيمان وحده [١].

ويحدد لنا الدكتور محمد خليفة حسن صفات وسمات النبوة فى بنى إسرائيل من خلال دراسته لظاهرة النبوة الإسرائيلية [٢] فى نقاط محددة من خلال دور الأنبياء فى التاريخ اليهودى. هذه الصفات يمكن إيجازها فيما يلى:

١- الصفة التاريخية، حيث يتم اختيار النبى بصفة شخصية وبدون معرفة أو استعداد منه، فلا دور له فى وقوع الاختيار الإلهى عليه، ويؤكد هذه الصفة أن معظم أنبياء بنى اسرائيل قد ورد ذكرهم بالاسم فى بداية أسفارهم وبتحديد إلهى، بل أن هناك تحديد لمكان وزمان ودائرة نشاط النبى [٣].

٢- الشعور الذاتى للنبى حيث يتجاذب النبى شعوران، أحدهما إيجابى يتمثل فى إحساسه بأنه مدعو من الله لأداء رسالته، والثانى سلبى ويتمثل فى خوف النبى وتردده فى قبول هذه الدعوة، ونتج عن هذا أن دعوات الأنبياء ورسالاتهم لم تكن مستمدة من رغباتهم ولا تعبيرا عن أغراضهم ومصالحهم. وهناك مواطن كثيرة فى العهد القديم تبين لنا الأعراض السيكلولوجية للتجربة النبوية. [٤].

١- سبينوزا، رسالة فى اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم حسن حنفى، مراجعة فؤاد زكريا ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١، ص١٢٣

٢- محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص ٣٢ ومابعدها

٣- أنظر على سبيل المثال بدايات أسفارا شعيا وهو شع وارميا وصفنيا.وحزقيال وميخا وملاخى ويوئيل ونحميا وغيرهم.

٤. انظر على سبيل المثال: الخروج ٣: ٢، ٦، ١٠، ١١، ١٢، والخروج ٤:١٢، ١٣، ١٤-١٧، وارميا ١:٤-٥، عاموس ٧:١٤، ٨-٣

٣- المعاناة الشخصية للنبي. سواء في علاقته مع ربه [١]، أو في علاقته مع قومه [٢].

ومن ناحية أخرى فصل لنا الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون مراتب النبوة، ووضع أنبياء بني اسرائيل حسب هذه المراتب التي بلغت عنده احدى عشرة مرتبة، كما أفاض في الحديث عن النبوة والأنبياء بحيث لا نعدم في ذلك تأثيرات إسلامية واضحة[٣].

ويفرق بين أنبياء بني إسرائيل حيث هناك الأنبياء الكبار والأنبياء الصغار، ومن الفريق الأول نجد اشعيا وارميا وحزقيال ودانيال.

وقد ظهر **النبي اشعيا** في القرن الثامن ق.م وكان من مستشاري الملك حزقيا ملك يهوذا (٧٢٩ - ٦٨٨ ق.م) ولا شعيا نبوءات شديدة اللهجة حيث شن حملة ضارية على أولئك المتظاهرين بالورع وفي نفس الوقت يجمعون الأموال ويسيطرون على الأقوات ويحرمون الفقراء.

ويقول Weech عن اشعيا انه كان من سكان اورشاليم ويرجع انتسابه للأسرة المالكة. ومن نبوءاته التي تحققت سقوط السامرية وهجوم سنخريب على أورشاليم ، وهو أول من وضح عالمية الإله، "يهوه" وأن الممالك كلها أدوات بيده وهو يدفع إحداها لتقتص من الأخرى على ذنب وقعت فيه، وهو أول من تنبأ بمجيء المسيح عليه السلام (٤).

أما النبي أرميا (٦٥٠ - ٥٨٠ ق.م) فقد تنبأ بسقوط أورشاليم ونادى بالخضوع لملوك بابل فاضطهده ملوك اليهود واعتدوا عليه. وكان

١- أنظر في ذلك ارميا ١٧: ١٥ - ١٨، ٢٠: ٧، حزقيال ١:٢٨، حبقوق ٨: ٣-٤

٢ - انظر اشعيا ١:٢-٤، أرميا ١:٦، ٢:٨

٣- موسى بن ميمون، المرجع السابق، ص ٣٨٨ - ٤٥٥

(Civilization of the Near East,p.69.).

٤- نقلا عن احمد شلبي، المرجع السابق، ص١٥٤

ارميا - على مايبدو - حاقدا على قومه، منحازا لملوك بابل، ويتضح ذلك بجلاء من سفره الذى يمجد فيه نبوخذ نصر البابلى.

ويقول عنه Weech أنه كان رجلا مثقفا فصيحا متأثرا بما كتبه هوشع، وقد ندد باخطاء قومه وانذرهم بالعقوبة. وقد سقط فى الأسر ابان حصار أورشاليم، وكان يدعو قومه للإستسلام، وقد رد البابليون له الجميل وأطلقوا سراحه لتهدئة قومه، ثم هاجر بعد ذلك إلى مصر ولم يسمع عنه شيء (١).

وقد عاصر **النبى حزقيال** (القرن السادس ق.م) فترة سقوط مملكة يهوذا، وعلى عكس أرميا نجده كان يشجع قومه على الصبر والاحتمال، وكان يرد مانزل بقومه إلى انحرافهم عن الطريق المستقيم، كما كان يحذرهم من عبادة الأوثان فى البلدان التى ذهبوا إليها بعد سقوط دولتهم.

وكان حزقيال من رجال الدين، ونبوءاته كانت صحيحة ، توحى بالتشاؤم، وقد التف الناس من حوله بعد تحقق نبوءته فى سقوط أورشاليم. وقد اهتم حزقيال بالطقوس الدينية وقال بالبعث والحساب وبالمسيح الذى سيأتى من نسل داود ويتملك على اليهود (٢).

وأخيرا نجد **النبى دانيال** ويمتلىء سفره بالرؤى الرمزية المتعلقة بالشعب الإسرائيلى، ووعدهم بالخلاص على يد المسيح.

أما موقف النصوص اليهودية المقدسة من "الآباء" فهو جد خطير، إذ يبدو أن فكرة عصمة الأنبياء لم تتمكن بعد من اليهودية، وإن كانوا

---

١ - المرجع السابق، ص ١٥٥.

٢- المرجع السابق، ص ١٥٦.

يزعمون أن عصمتهم فقط فى تبليغ الرسالات الإلهية، أما ماعدا ذلك من أمور، فلا عصمة لهم فيها، وهى مسألة تخالف مافى العقيدة الإسلامية تماما، وتخالف العقل والمنطق. فكيف لى كبشر أن اهتدى واتبع مايأتى به رجل يقترف من الخطايا والذنوب، بل والموبقات، مايجعله غير أهل للثقة. كيف أفصل بين صدقه فى تبليغ الرسالة ان كان من المتاح له أن يكذب فى الأمور الدنيوية البسيطة؟!

وليس من نافلة القول هنا أن نعرض لصورة الآباء أو الأنبياء فى النصوص اليهودية المقدسة، إذ أن مثل هذا العرض يساعدنا فى الوقوف على المفهوم اليهودى لشخصية الأنبياء.

ولنبدأ بأول الآباء وأكبرهم وأجلهم وأعظمهم، إبراهيم عليه السلام، الذى لم تشفع له منزلته ف تاريخ الشعوب السامية كلها، عند اليهود وقالوا عنه ماقالوا.

جاء فى الكتاب المقدس لليهود والنصارى عن ابراهيم:

"وحدث لما قرب ان يدخل مصر انه قال لساراى امرأته: انى قد علمت انك امرأة حسنة المنظر. فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته. فيقتلوننى ويستبقونك. قولى انك اختى. ليكون لى خير بسببك وتحيا نفس من اجلك."(سفر التكوين ١٢:١١-١٣)

ايعقل أن تكون هذه أخلاق نبى، بل أخلاق رجل شريف؟

يقدم امرأته الحسناء لفرعون رجاء تحقيق "الخير" لنفسه!!

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فابراهيم يستمرىء التجربة، ويكررها مع ملك آخر هو أبيمالك، ويقدم سارة له على أنها أخته، لولا تدخل الإرادة الالهية ومجىء الرب إلى أبيمالك فى حلم الليل وأخبره بالحقيقة. فهل بعقل أيضا أن تكون هذه هى أخلاقيات أب محترم أو نبى مرسل؟!

هل فقد النبى نخوته ورجولته؟!

هل بلغ به الطمع إلى أن يكسب من وراء امـرأته المال والغنم ويقـدم زوجتـه لفرعـون وأبيمـالك؟ ومـاذا لو فـعل الرجلان مـا أرادا أن يفـعلاه بسارة؟!

حاشا لله أن تكون هذه صورة خليل الرحمن، إبراهيم أبو الأنبياء!!

ويبـدو أن النصـوص المقـدسـة ترى فى عـائلة إبراهيم مـن الفـسـاد ، مـالا يمكن للمرء أن يصدقه فى الإنسان العادى.

فـها هو لوط عليـه السـلام، نبى كريم من أنبيـاء الله تعـالى، تقـدم لنا التوراة قصته المخزية:

" وصـعـد لـوط من صـوغـر وسكن فى الجـبل وابنتـاه معـه. لانه خاف ان يسكن فى صوغر. فسكن فى المغارة هو وابنتاه * وقـالت البكر للصـغيـرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض* هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلاه فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضـطجاعـها ولا بقيـامها* وحدث فى الغد أن البكر قالت للصـغيـرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه. فنحيى من أبينا نسلا* فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها* فحبلت ابنتا لوط من أبيهما* فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب* وهو أبو الموآبيين إلى اليوم* والصـغيـرة أيضـا ولدت ابنا ودعت اسمـه بن عم. وهو أبو بنى عمـون إلى اليوم." (التكوين ١٩: ٣٠ - ٣٨).

عبارات تقشعر لها الأبدان من فظاعة مضمونها وبشاعته.

فبئست التـربيـة تلك التى تجعل ابنتى النبى تسـقيـان أباهـما خـمرا وتضطجعان معه!!

وبئست نبوة رجل بهذا الشكل، لا يدرى مايفعله أو مايفعل به.

والأدهى من ذلك أن النص اليهودى المقدس لم يعلق ولو بكلمة واحدة على هذه الجريمة البشعة وإنما انتقل إلى موضوع آخر.

ويبدو أن الانحلال الاخلاقى، والاباحة الجنسية كانت عند بنى اسرائيل أمرا لا حرج فيه. فبعد أن يقدم الزوج زوجه للملوك بغية تحقيق الخير له، وبعد أن تزنى البنت مع أبيها، نجد جريمة زنا أخرى تقع على صفحات هذا الكتاب الذى يرى أهل الكتاب جميعا أنه وحى إلهى صادق.

فها هو يهوذا بن يعقوب، من سلالة أنبياء اطهار ، يزنى بإمرأة أبيه، وتلد منه توأمين (سفر التكوين ٣٨: ١٥ - ٣٠).

وداود - عليه السلام - لم يسلم أيضا من الوقوع فى هذه الجريمة البشعة التى لا يقرها عرف أو دين، ويزيد الطين بلة بتآمره على قائد جيشه أوريا للتخلص منه وضم زوجته إليه، بل واحتقاره للرب. فبعد تفاصيل تلك الجريمة المركبة يعلق كاتب السفر قائلا على لسان الرب مخاطبا داود:

"لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه. قد قتلت أوريا الحثى بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة وإياه قتلت بسيف بنى عمون* والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتنى وأخذت امرأة أوريا الحثى لتكون لك إمرأة" (سفر صموئيل الثانى ١٢:٩-١٠

ويبدو أن كاتب السفر ذو ميل جنسى صارخ، فقد جعل عقاب الرب لداود عقابا جنسيا قاسيا، ترفضه كل العقول الفاهمة وتأباه كل الشرائع الراقية يقول الرب مواصلا حديثه لداود.

"هكذا قال الرب هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس"

(سفر صموئيل الثانى ١٢ :١١)

جريمة اغتصاب جماعى، علنا أمام الاشهاد. ذلك هو العقاب الإلهى، للنبى، ولنساء النبى. فيالها من مهزلة أخلاقية !! وإمعانا فى العقاب كان المنفذ للعقاب الإلهى. أى الزانى بنساء داود، هو ابشالوم بن داود ذاته.

"فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح، ودخل ابشالوم إلى سرارى أبيه أمام جميع إسرائيل" (سفر سموئيل الثانى ١٦: ٢٢).

فهل هذه أخلاق الأنبياء أو حتى الآباء؟!

ومن دائرة الزنا التى وقع فيها هؤلاء الآباء اليهود، تنقلنا نصوص أهل الكتاب المقدسة إلى نوع آخر من الجرائم، وهو الاحتيال والنصب مع سبق الاصرار.

ونحن لا نقدم هنا احصاء لهذا النوع من الجرائم حسب روايات الكتاب المقدس، وإنما نقدم فقط نماذج منها.

وأول نموذج يسترعى الانتباه هو تحايل يعقوب عليه السلام- على أخيه عيسو وأبيه اسحق لسرقة حق البكورة.

تقول أسفار التوراة:

"وطبخ يعقوب طبيخا فأتى عيسو من الحقل وهو قد اعيا* فقال عيسو ليعقوب اطعمنى من هذا الأحمر لانى قد اعييت. لذلك دعى اسمه ادوم* فقال يعقوب بعنى اليوم بكوريتك. فقال عيسو أنا ماض إلى الموت. فلماذا لى بكورية* فقال يعقوب احلف لى اليوم. فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب* فاعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخ عدس. فأكل وشرب وقام ومضى فاحتقر عيسو البكورية" (سفر التكوين ٢٥ : ٢٩ -٣٤)

وتمضى القصة طريفة ومسلية، حتى شاخ اسحق، وأراد أن يبارك بكره

عيسو قبل أن يموت. وهنا تبرز خيوط مؤامرة أخرى تكميلية للأولى:

"وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت والبست يعقوب ابنها الأصغر* وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جدى المعزى. وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب إبنها* فدخل إلى أبيه وقال يا أبى. فقال هأنذا. من أنت يا إبنى* فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتنى. قم اجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك... " (سفر التكوين ٢٧:١٥ - ١٩)

وأخيرا يكتشف اسحق الخدعة، بعد أن بارك يعقوب المحتال، ويحزن عيسو لأن أخاه قد سلبه بكوريته وبركته، ولم يتبق له سوى بركة واحدة عند أبيه، وفر يعقوب هاربا إلى خاله لابان خوفا من أخيه.

ولنا ملاحظات يسيرة على هذا الافتئات فى حق الأنبياء:

أولا: باع عيسو بكوريته بلقمة عيش وشربة عدس، مضحيا بالنبوة، ومفضلا عليها هذا الطعام الزهيد.

ثانيا: تحايل يعقوب على أخيه، واستغل حاجته للطعام وسلبه مؤهلات النبوة، وهذا ضرب من ضروب اللامعقول.

ثالثا: اسحق لا يفرق بين أبنائه، ويضرب الشره على فؤاده، فلا يميز بين يعقوب وعيسو بعد أن امتلأت بطنه بالطعام والشراب.

رابعا" تحايل يعقوب مرة أخرى بمعاونة أمه - وهى أم عيسو كذلك ولا ندرى سبب موقفها هذا من ولديها - ويتنكر لتضليل أبيه.

خامسا: لا ندرى أين كان الرب فى كل هذا ؟!، وإذا كان من السهل أن يتحايل يعقوب على أبيه، فكيف يأخذ البركة والنبوة التى هى من عند الله لا من عند أبيه؟!

فالنبوة إذن ليست هبة من الله ولا اصطفاء، وإنما هى ثمرة من ثمار

الخديعة والمكر، حسب المفوم الذى تعرضه هذه النصوص المقدسة عند أهل الكتاب.

ويبدو أن يعقوب التوراتى ضليع فى الاحتيال والنصب والخداع. إذ تواصل النصوص المقدسة رسم صورته بما لا يليق برجل عادى من العامة.

فهو بعد جريمته فى حق الله أولا، ثم فى حق أبيه وأخيه، يهرب حسب وصية أمه إلى خاله لابان وهناك يواصل الاحتيال.

فهو يقع أولا ضحية احتيال خاله لابان (ويرد على لسان يعقوب أنه أخو لابان مرة، وأن لابان خاله مرة أخرى والله أعلم[1] حينما يتفق معه على تزويجه احدى ابنتيه ثم يدخل عليه الأخرى. ولكن يعقوب يرد الصفعة لخاله، بحيلة أنكى وأشد يقصها علينا الإصحاح الثلاثون من سفر التكوين حيث يستولى على الغنم القوية ويترك الضعيفة لخاله ويفر هاربا، بل ويسند جريمة السلب والاحتيال إلى الله فيقول لزوجيه:

"فقد سلب الله مواشى ابيكما وأعطانى" (سفر التكوين ٣٠:٩)

وزوجاه، ابنتا خاله، تباركان هذا الاستيلاء، وتقولان ليعقوب:

"... ألنا أيضا نصيب وميراث فى بيت أبينا* ألم نحسب منه اجنبيتين لانه باعنا وقد أكل أيضا ثمننا* ان كل الغنى الذى سلبه الله من أبينا هو لنا ولاولادنا. فالآن كل ماقال لك الله افعل" (التكوين ٣١:١٤ -١٦)

هكذا تصف التوراة اليهودية المقدسة الأوضاع، وتضيف قائلة:

"وخدع يقعوب قلب لابان الأرامى إذ لم يخبره بأنه هارب" (التكوين ٣١:٢٠).

أنها ليست صفات الأنبياء، ولا الاتقياء من البشر، انها "مافيا" ترتكب

١- أنظر سفر التكوين ٢٩: ١٠، ١٢.

جرائمها بأسلوب منظم، وذلك كله بمباركة الإله "يهوه" وتحت سمعه وبصره[1] والجرائم السابقة التى ألحقها أهل الكتاب فى كتابهم بالأنبياء الأتقياء وإن كانت تخل بالمهام التى وجدوا بين هؤلاء القوم لأدائها، فإنها تأتى هامشية إذا ماقارناها بنوع آخر من الجريمة، يهدم الدين، ويبطل النبوة. انه الشرك.

فالنصوص اليهودية - النصرانية المقدسة، التى يتعبدون بها ويقولون عنها انها وحى من الله تعالى تهدم فى حد ذاتها نبوة الأنبياء فيها. .

يقول أحد وعاظ الأقباط المعاصرين فى شأن هذه النصوص نقلا عن البابا لاون الثالث عشر:

"لان الكتب المقدسة تقبلها الكنيسة كمقدسة وقانونية، قد كتبت كلها، فى جميع أجزائها، بإملاء الروح القدس، فلا يمكن أبدا ان يقع أى خطأ فى الوحى الإلهى، فهو بطبيعته ينفى كل خطأ، بل هو ينفيه ويستبعده بنفس الضرورة التى يمتنع معها أن يكون الله تعالى الحقيقة العليا، مصدرا لأى خطأ" (٢)

ويؤكد هذا الواعظ القبطى نفسه على ماذكره أسلافه وآباؤه ردا على شك واعتراض البعض فيما جاء فى التوراة فيكتب تحت عنوان " عصمة التوراة" ويقول:

"... ان التوراة جملة وتفصيلا، بحروفها وكلماتها وجملها واصحاحاتها وأسفارها هى هى كلام الله لموسى، ولايمكن لأحد أن يتدخل فيها بزيادة أو أو نقصان ولا أن يزيل منها حرفا واحدا أو نقطة واحدة من هذا الناموس

١- لمزيد من النتائج والعبر المستفادة من هذه الخطط والاحتيالات انظر: احمد حجازى السقا، نقد التوراة - أسفار موسى الخمسة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٦، ص١٩٥-١٩٩.

٢- يسى منصور ، التوراة فوق الفكر الحديث ، القاهرة، ١٩٨٩ ،ص٦-٧

حتى يكون الكل" (١).

ولست أدرى كيف يفتينا هذا الواعظ فيما وقع فى التوراة من أحداث بعد موسى عليه السلام، ومن الذى جاء بها فى هذا الكتاب؟!

وإذا كان مافيها هو وحى إلهى، فقد أشرك أنبياؤهم وكفروا بالله تعالى، ولا يحق لاتباعهم أن يخلدوهم ويتعبدوا بشركهم وأصنامهم وأوثانهم.

وتلك هى الجريمة الثالثة، جريمة الكفر والشرك، التى الصقها الكتاب المقدس بالأنبيا والآباء.

وتبدأ مظاهر الشرك عندما نسبوا إلى موسى فى ترنيمته للرب قوله:

"من مثلك بين الآلهة يارب" (سفر الخروج ١٥:١١)

وينسبون إلى موسى قوله أيضا:

"الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة" (سفر الخروج ١٨ :١١)

فهناك آلهة أخرى كما يعتقد موسى، ولكن إله بنى إسرائيل أقوى وأعظم، وشتان بين هذا الاعتقاد، وبين الاعتقاد فى عدم وجود آلهة أخرى على الاطلاق وهو ماعبرت عنه المقولة الاسلامية المحددة الكلمات: لا إله إلا الله!!

ومن موسى إلى هارون المفترى عليه حيث تذكر التوراة هذه القصة العجيبة بشأنه:

"ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لان هذا موس الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون انزعوا

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٦

أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتونى بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا. فقالوا هذا الهتك يا اسرائيل التى اصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه، ونادى هارون وقال غدا عيد للرب. فبكروا فى الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب." (سفر الخروج ٣٢: ١-٦).

والنص السابق يحدد التهم الآتية لشخص هارون:

١- استجاب هارون لدعوة الشرك ولم ينه قومه عن ذلك.

٢- صنع هارون العجل الذهبى لقومه بيده ليعبدوه.

٣- بنى هارو مذبحا للاله الجديد، وفى هذا مزيد من الشرك وترسيخ له.

٤- ابتدع هارون عيدا للإله الجديد.

٥- مشاركة هارون لشعبه فى الذبح للإله الجديد والاحتفال به.

قد يقول قائل، ان هارون لم يكن نبيا أو رسولا أو مأمورا من الرب بمشاركة موسى ومعاونته فى الدعوة إليه، وإنما كان مجرد "زميل كفاح" لموسى فى نضاله ضد فرعون.

ولكن النصوص المقدسة ذاتها تعترف بالاختيار الإلهى لهارون فتقول:

"أرسل (الرب) موسى عبده وهارون الذى اختاره " (المزمور ١٠٥: ٢٦)

"فكلم الرب موسى وهارون وأوصى معهما إلى بنى إسرائيل وإلى فرعون ملك مصر فى إخراج بنى إسرائيل من أرض مصر." (سفر الخروج ٦: ١٣)

"وحسدوا موسى فى المحلة، وهارون قدوس الرب" (المزمور ١٠٦ : ١٦)

فهل يليق بالرسول والمختار من الرب، والموصى من الرب، وقدوس الرب، ان يفعل تلك الجرائم البشعة الواردة فى نص سفر الخروج السابق؟

فنحن إذن أمام اختيارين لا ثالث لهما:

١- إما أن هارون قد فعل مافعل وبالتالى هو ليس بنبى ولا مرسل ولا مختار ولا قدوس الرب.

٢- وإما أن هذه الجرائم المنسوبة له، ملفقة له فى تلك النصوص.

وفى كلتا الحالتين، لا يمكن لنا أن نقر السيد الواعظ القبْطى فيما زعمه من أن هذه الخرافات هى وحى من الرب، وأنها هى هى كلامه.

وأما سليمان - عليه السلام - فقد سبق وأن استشهدت فى الحديث عن الوحدانية بنص سفر الملوك الأول [1] الذى يتهمه بالسير وراء عشتورت الهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وكموش رجس الموآبيين ومولك رجس بنى عمون.

ولم يكتف سليمان - حسب زعم النصوص المقدسة عند اهل الكتاب - بهؤلاء، بل خضع لجميع نساءه الغريبات و " كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن" تحت سمعه وبصره.

والأدهى من ذلك أن " إله بنى اسرائيل قد تراءى له مرتين واوصاه فى هذا الأمر ان لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب" (سفر الملوك الأول ١١ : ٩ - ١٠). يقول ول ديورانت معلقا على صورة سليمان

١- الاصحاح الحادى عشر.

فى العهد القديم " ولما فرغ سليمان من اقامة ملكه شرع يستمتع به ، وأخذت عنايته بالدين تقل على مر الأيام ، كما أخذ يتردد على حريمه أكثر مما يتردد على الهيكل، ولشد مايلومه كتاب أسفار التوراة على شهامته، إذ أقام مذابح للآلهة الخارجية التى كانت تعبدها زوجاته الأجنبيات"(١)

اصرار على الشرك والكفر، وحاشا لنبى أن يكون كذلك.

وبعد ماعرضناه – وهو غيض من فيض – ماذا يبقى لهؤلاء الأنبياء والآباء حتى يسير وراءهم مؤمن ؟!

زنا، تحايل وخديعة وسرقة، شرك وكفر.

هذا هو ميراث الأنبياء والآباء ، كما قدمه لنا هذا الكتاب المقدس الضخم.

ولو تناولنا الأنبياء الواردة أسماؤهم فى تاريخ بنى إسرائيل، حياتهم ودعوتهم، وأعمالهم حسب روايات العهد القديم، فنحن بحاجة إلى أسفار ضخمة، نفند فيها ما اتهم به كل نبى من افك وبهتان يأباه كل مؤمن بالله ورسله.

وقد اكتفيت بما سبق من إشارات سريعة وموجزة لبعض – لا كل – أنبياء بنى إسرائيل القارىء لاعفاء فكرى للقارىء عن مفهوم النبوة، وحال الأنبياء عند أهل الكتاب وعند المسلمين (٢).

والنصارى يؤمنون بكل ما أوردته، ورأينا كيف يزعم الواعظ القبطى صدق هذا الكلام والاعتقاد بوحيه من الله تعالى، فتلك إذن نظرية النبوة

١- قصة الحضارة، ص٢، ص٣٣٧ نقلا عن احمد شلبى، المرجع السابق، ص١٧٠

٢- مزيد من التفاصيل عن أنبياء اسرائيل فى

W. R. Robertson Smith, The Prophets of Israel, London'1879.

عند اليهود والنصارى معا.

وهم لا يعتقدون بعصمة الأنبياء، فالمسيح وحده هو المعصوم، وكل البشر بما فيهم الأنبياء يخطئون، وليس هناك شفيع ولا مخلص سوى المسيح ، لان المخطىء لا يخلص المخطئين.

يقول محمد رشيد رضا فى كتابه الوحى المحمدى [1].

"إذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم، بما تصلح به أحوالهم فى دنياهم، ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا فى نشأة أخرى، فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلا لان يقتدى بهم فى أعمالهم وسيرتهم، والتزام الشرائع والآداب التى يبلغونها عن ربهم، ومن ثم قال علماؤنا بوجوب (عصمة الأنبياء) من المعاصى والرذائل، وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر والكبائر، قبل النبوة وبعدها ، وخص بعضهم العصمة من الصغائر بما كان باعثة الخسة والدناءة.

وأهل الكتاب لا يقولون بهذه العصمة، وكتبهم المقدسة ترمى بعض كبار الأنبياء بكبار الفواحش المنافية لحسن الاسوة، بل المجرئة على الشرور والمفاسد.

والنصارى منهم يجعلون معاصى الأنبياء دليلا على عقيدتهم، وهى أن المسيح هو المعصوم وحده لأنه رب وإله، ولانه هو المخلص للناس من العقاب على الخطيئة اللازمة لكل ذرية آدم بالوراثة له، وأنه لا شفيع ولا مخلص لهم غيره، لأن المخطىء لا يخلص المخطئين وهو منهم، وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين الأنبياء، وكتبهم، وللعقل، ومطابقة للأديان الوثنية الهندية وغيرها."

١- أنظر، محمد على الصابونى، المرجع السابق ، ص٥٩.

وتبرز فى الفكر النصرانى فيما يتعلق بصدق ماورد فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد مقولة جديدة تتمثل فى عصمة الروح القدس، وهو الاقنوم الإلهى الثالث فى الثالوث المقدس ، والذى أوحى بهذه النصوص إلى كتابها ، وعصمهم من الخطأ والهمهم الصواب.

وهذه الفكرة قد لجأ إليها النصارى لا لتبرير أخطاء العهد القديم، وإنما لتبرير وجود أناجيل غير منسوبة للمسيح ذاته، وهى أناجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا.

فالروح القدس، وفق مفهوم النصارى، قد عصم كتاب الأناجيل، كما سبق وأن عصم كاتب أو كتاب التوراة، فالكتاب كله وحى من الله، على نحو ماسبق وان اقتبسنا من أقوال بابوات ووعاظ الاقباط.

يقول بطرس[1].

"ان كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان، بل تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (رسالة بطرس الثانية ١:٢٠ - ٢١).

ولكن الحقيقة التى لا يرقى إليها شك، أن الاختلافات والتناقضات والأفكار المضطربة الواردة سواء فى العهد القديم [2] أو العهد الجديد[3] لا يمكن أن تتفق وفكرة عصمة الروح القدس، إذ يعترف الباحثون النصارى أنفسهم بوجود خلل فى محتوى الكتاب المقدس.

وأول دليل على دحض فكرة عصمة الروح القدس هو أنه لا توجد فى

١- سمعان بطرس، أحد رسل المسيح عليه السلام إلى بعض المدن، وله رسالتان فى العهد الجديد، الأولى من خمسة اصحاحات، والثانية من ثلاثة اصحاحات.

٢- نماذج لذلك فى أحمد حجازى السقا، المرجع السابق، ص ١٨٥، ١٩١

٣- نماذج لذلك فى أحمد حجازى السقا، المرجع السابق، ص ٢٠٥ - ٢١١؛ أحمد ادريس، المرجع السابق ، ص٧٥ ومابعدها .

العالم كله نسخة لانجيل المسيح الحقيقى بلغته أو لغة حوارييه وتلاميذه ورسله، إذ أن النسخ هى ترجمات عن نسخة كتبت باليونانية، تختلف حسب ترجمتها من لغة لأخرى، بل أن هناك عشرات الترجمات الانجليزية والتى تتباين فى كثير من معانيها.

يقول رينان فى كتابه عن حياة المسيح (١):

"أن الاناجيل كانت منذ البداية ذات وضع تقل درجتها - من ناحية السند - عن درجة الرواية أيضا".

ويعلق على هذه الأناجيل بقوله:

"اننى لا أستطيع أن أقول على وجه اليقين أن الانجيل الرابع كله - انجيل يوحنا - كتبه المسيح، فالحق ان فيه اضافات كثيرة أدخلت بعده".

وعن إنجيل لوقا يقول:

"ان وضع هذا الانجيل التاريخى ضعيف جدا، اذ قد وصلنا عن يد الآخرين.. وكثير من فقراته ليست مستقيمة وفيها مبالغات.. بل انه لا يعرف شيئا عن هيكل أورشاليم".

ثم يقدم لنا رينان خلاصة رأيه فيقول:

" أن هذه الاناجيل (الأربعة) يناقض بعضها بعضا فى وضوح وصراحة."

وهذا باحث نصرانى آخر هو البروفيسور جود (٢) يقول عن أناجيل ديانته:

"ان تناقض الاناجيل حيرنى. وقد انتهيت إلى أن بيغان كان على

١- نقلا عن احمد ادريس المرجع السابق، ص ٨٥.

٢- Joad, Good and Evil, London, p318 نقلا عن أحمد إدريس ، المرجع السابق، ص٨٦.

صواب حين قال: ان اناجيلنا مجموعة مذكرات للقديس مرقس وبطرس أى أنه مابقى فى ذاكرة بطرس مما قاله المسيح قبل وفاة بطرس بـ ٣٨ سنة، ولم يكن بالآرامية بل مترجما إلى اليونانية. ولهذا - بصرف النظر عن قرار الكنيسة - فإن الاعتقاد بأن الاناجيل الحالية التى تنسب للمسيح هى من كلامه حرفا بحرف ليس الاحماقة كبرى".

ولعل أهم مانستشهد به لدحض فكرة عصمة الروح القدس، ومن ثم عصمة مافى أيدينا من الكتب التى تضم ما أشرت إليه من "اللامعقول" ، ماذهب إليه المؤرخ النصرانى فليب فيفان فى كتابه عن الكنائس والفكر الحديث إذ يقول (١).

"يعترف الدكتور روبنسون أن الأناجيل الأربعة مشكوك فيها لكنه يرى أن رواية القرن الثانى تقول أن مؤلف الإنجيل الثانى - أى مرقس - كان ثقة وأنه كان مترجم بطرس الحوارى، وأنه كتب انجيله فى روما بناء على رواية الحوارى المذكور - أى بطرس - جميل جدا.. نحن نعترف بهذا.. يعنى أن راوى الأناجيل كان شاهد عيان للمسيح، لكن هذا الراوى لم يصحب المسيح إلا عاما واحدا (وحسب رواية الناقدين الرجعيين ثلاثة أعوام) وقد كان هذا الحوارى أميا لا يقرأ ولا يكتب وروى هذا الانجيل لمرقس بعد حوالى أربعين عاما ثم ترجمها شخص آخر (مرقس) إلى لغة أخرى. ولا يستطيع أحد أن يقول إلى أى حد جاءت الترجمة مطابقة للرواية الأصلية. علاوة على هذا فان الدكتور روبنسون فى الأبواب التى كتبها حول الوعظ الكبير والوثائق غير المرقسية يشير إلى نقاط الضعف فى إنجيل مرقس. فما هى هذه النقاط، وهل نعتبرها أمورا عادية؟.

---

(١) The Church and Modern Thoughts, London, p.99
نقلا عن أحمد إدريس، المرجع السابق، ٨٦ - ٨٨.

إن علينا أن ننتقى بعضا منها ثم نصدر قرارنا فيما بعد.

إن هذا الانجيل يخلو من ذكر مولد المسيح أو وقائع طفولته كما أنه كذلك يخلو من موعظة الجبل، وقصة قيام المسيح بعد موته ذكرها فى بضعة أسطر، وصعوده إلى السماء فى سطر واحد، ولسوء الحظ فإن هذه السطور هى التى يتفق الجميع على أنها اضافات، لان انجيل مرقس فى الحقيقة ينتهى عند الآية ٨ من الاصحاح ١٦ - ولهذا فلا ذكر فيه لشىء من الحلول أو القيامة أو الصعود إلى السماء، ولم يبق لنا إلا الروايات الشفهية والوثائق الضائعة والكتاب المجهولين لنستقى منهم العلم بتفاصيل الأمور التى هى أساس ديننا وروحه الحية، فهل هناك أكثر من هذا مما يبعث على الشك فى حقيقة الأناجيل المسيحية".

ويتساءل ناقد آخر للإنجيل فيقول:(١).

"لا تسألنى من فضلك متى كتبت الانجيل، لأنى لا استطيع أن أجيبك".

ويقص علينا بعد هذا "المختصر المفيد" كيفية كتابة الأناجيل ويقول فى نهايتها:(٢).

"لقد جمع النصارى الأوائل معلوماتهم عن العهد الجديد من نشرات سرية صغيرة، تناقلتها الأيدى، وهناك الاف من هذه النشرات كتب واعيدت كتابتها حتى فقد الناس كل أثر يقودهم إلى حقيقة مضمونها".

تلك هى عصمة الروح القدس كما زعمها أصحابها، وكما انتقدها اتباعها، ولم اشأ ان اتعرض لكثير مما قيل فيها مكتفيا بما سبق لتحقيق الغرض المنشود من بيان العقيدة الصحيحة، والعقائد الباطلة.

1- Hendrik Willem Van Coon, The Story of the Bible, London, 1947,p9

٢- المرجع السابق، ص١٠

الفصل الثالث

اليــوم الآخـــر

نبدأ بوجهة نظر اليهود والنصارى - من خلال نصوصهم المقدسة - إزاء الموت. ويمكننا أولا أن نحدد بعض ملامح هذه القضية فى التصور اليهودى على النحو التالى:

أولا: الموت لكل الناس.

جاء فى العهد القديم:

"يسلم الروح كل بشر جميعا، ويعود الانسان إلى التراب" (سفر ايوب ٣٤:١٥)

"ليس لانسان سلطان على الروح" ليمسك الروح ولا سلطان على يوم الموت.." (سفر الجامعة ٨: ٨)

"أذكر كيف أنا زائل. إلى أى باطل خلقت جميع بنى آدم. أى انسان يحيا ولا يرى الموت، أى ينجى نفسه من يد الهاوية" المزامير ٨٩: ٤٧ - ٤٨

والنصوص السابقة واضحة، وتشير دون أدنى لبس إلى عمومية الموت للبشر جميعا، ومع ذلك وجدنا بعض مفسرى العهد القديم لا يفهمون ذلك من النصوص، ويذهبون وراء أهوائهم فى التفسير مذاهب شتى[١].

وقد أطلعت مرارا على نصوص العهد القديم، ورجعت إلى فهرس موضوعات هذا الكتاب [٢] فلم أجد أكثر مما سبق، وهذا فى حد ذاته يشير إلى قضية هامة وهى اهتمام اليهودية بالحياة الدنيا أكثر من الآخرة.، أى اهتمامها بالأعمال دون الإيمان، وهذا ماسيؤكده عرضنا للقضايا الأخرى المتعلقة باليوم الآخر.

١- أنظر على سبيل المثال: السنن القويم فى تفسير العهد القديم، ج ٥، ص٢٤٧

٢- أنظر: فهرس الموضوعات الكتابية، دار الثقافة، ط٣، مادة "الموت" ص ٣٧٠- ٣٧٤.

ثانيا: للموت أجل محدد ووقت معلوم.

جاء فى العهد القديم:

"لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت. للولادة وقت وللموت وقت. ولقلع المغروس وقت . للقتل وقت وللشفاء وقت. للهدم وقت وللبناء وقت.." (سفر الجامعة ٣: ١-٤).

وتتفق هذه القضية مع التصور الاسلامى الذى تؤكده النصوص القرآنية الكثيرة.

ثالثا: ارتباط الموت بالخطيئة.

تشير نصوص العهد القديم منذ بداية هذا الكتاب إلى أن الموت يحل بالبشر نتيجة خطاياهم.

فقد جاء فى أول أسفار العهد القديم مايلى:

"وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا* وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت : "التكوين، ٢ ١٥-١٧).

فمخالفة الرب وعصيانه هى أمور تؤدى إلى الموت.

وجاء أيضا:

"وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا." (التكوين ٣:٣).

ويرى مفسرو الكتاب المقدس أن الموت هنا موت روحى بمعنى البعد عن

الله والانفصال عنه (١).

ونجد فقرات أخرى تؤكد لنا المفهوم السابق: الربط بين الموت والخطية، وهذا مايعكسه سفر حزقيال حيث ورد فيه:

"النفس التى تخطىء هى تموت. والإنسان الذى كان بارا وفعل حقا وعدلا.... حياة يحيا. يقول السيد الرب) (١٨: ٤-٩).

"وإذا رجع البار عن بره الذى عمله وعمل اثما وفعل مثل كل الرجاسات التى يفعلها الشرير أفيحيا. كل بره الذى عمله لايذكر. فى خيانته التى خانها وفى خطيته التى أخطأ بها يموت" (١٨:٢٤).

وليس لدينا فى النصوص اليهودية المقدسة تفاصيل عن حالة المرء ساعة خروج الروح، ولا يمكن أن نضيفه إلى ماسبق.

وأما التصور النصرانى للموت، فهو يؤكد التصور اليهودى السابق ويؤمن به، إذ تشير نصوص الأناجيل إلى أن الكل موتى، وهذا ماورد على لسان المسيح لمن جاء ليستأذنه فى دفن أبيه فقال له:

"دع الموتى يدفنون موتاهم" (انجيل متى ٨: ٢٤).

وقد فهم النصارى ذلك فقالوا:

"إننا لا نستطيع أن نعرف ماسوف تأتى به الأيام القليلة القادمة، أو الأسابيع، والشهور والسنين، ولكن هناك شيئا واحدا نعرفه بكل يقين: انه يوما من الأيام سيكون ذلك آخر يوم لنا فى الحياة... نعم فى يوم من الأيام سوف يلا قينا الموت، وربما يكون ذلك على حين غرة" (٢)

وقالوا كذلك:

١- قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٢٩

١- م. باسيليا شلينك المرجع السابق، ص ٢٠

"إن الموت قوة، ينبغى أن يخضع لها كل إنسان، ولكل واحد قد عين يوم، فيه يجابهه الموت - لا يستطيع أحد أن يهرب من الموت. حتى أقوى الرجال فى الوجود ينبغى أن يخضع له. الموت طاغية يطيعه الملايين والملايين. انه يفرض سلطانه على كل دوائر الحياة...."(1)

وقد وردت فى الأناجيل نصوص كثيرة حول الموت، تعكس المفهوم النصرانى له، وطبقا لهذا المفهوم نجد موتا يصيب الجسد، وموتا يصيب الجسد والنفس معا.

جاء فى تعريف الموت فى قاموس الكتاب المقدس:

"الموت ينقسم إلى: مايصيب الجسد فقط دون النفس وإلى مايصيبها معا"(2)

والموت الجسدى فى مفهومهم هو نتيجة خطيئة آدم، وهو ماورد فى معتقدات اليهود وآمن به النصارى دون تغيير أو تبديل. وقد انعكس هذا المفهوم فى الأناجيل إذ نجد فيها تلك الفقرات.

"قال لهم يسوع أيضا أنا أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم، حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا" (إنجيل يوحنا ٨:٢١)

"ثم الشهوة اذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتا" (رسالة يعقوب ١:١٥)

"من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رسالة رومية ٥:١٢).

والخطية المقصودة والتى جلبت للانسان الموت، هى خطيئة آدم عليه

١-المرجع السابق، ص١٣

٢-قاموس الكتاب المقدس، تأليف لجنة من اللاهوت، ط٦، ١٩٨١، ص٩٢٩

السلام وقد نال عقابه بالموت؟ ومعنى هذا انه لو لم يكن قد أخطأ لكتب له الخلود، وللبشر من بعده كذلك.

ولكن، إذا كان المسيح عليه السلام - حسب المفهوم النصرانى - قد مات مصلوبا ليحمل عن البشر أخطاءهم، فالنتيجة المنطقية لذلك أن يرفع عنهم الموت، ولكننا نرى أن الناس جميعا يموتون، على الرغم من تحمل المسيح لخطاياهم، فكيف يفسر النصارى هذا الاضطراب؟!(1)

وأما الموت الروحى أو النفسى، فله أسبابه التى أشارت إليها نصوص النصارى المقدسة والتى جاء فيها:

"فأقول هذا واشهد فى الرب أن لا تسلكوا فى ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضا ببطل ذهنهم. اذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم" (رسالة أفسس ٥: ١٧-١٨)

"فإن الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فيما للروح. لان اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة سلام. لان اهتمام الجسد هو عداوة لله اذ ليس هو خاضعا لناموس الله لانه أيضا لا يستطيع. فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله. وأما انتم فلستم فى الجسد بل فى الروح ان كان روح الله ساكنا فيكم، ولكن ان كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له. وان كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر" (رسالة رومية ٨:٥-١٠)

"وأنتم إذا كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا التى سلكتم فيها قبلا حسب

---

١ - انظر فرج الله عبدالبارى ابوعطا الله، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والاسلام، دار الوفاء، ط١، ١٩٩١

دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية" (رسالة افسس ٢:١-٢)

".. أنا عارف أعمالك أن لك إسما أنك حتى وأنت ميت. كن ساهرا وشدد مابقى الذى هو عتيد أن يموت لأنى لم أجد أعمالك كاملة أمام الله" (رؤيا يوحنا ٣:١-٢)

ومن النصوص السابقة- وغيرها- نستخلص أسباب الموت الروحى وهى الإبتعاد عن الله والاهتمام بالجسد والذنوب والخطايا والجهالة الروحية وعدم الايمان والرياء.

ومن الموت إلى حياة البرزخ، وقد وردت فيها نصوص محددة عند أهل الكتاب، فقد جاء فى أسفار اليهود مايفيد أن الهاوية هى مأوى الموتى (سفر العدد ٢٣:١٦، سفر حزقيال ١٥:٣١).

ومكان الموتى يصيب من فيه بالهلع:

"لان امواج الموت اكتنفتنى، سيول الهلاك أفزعتنى، جبال الهاوية احاطت بى" (سفر حزقيال ٢٢: ٥-٦)

ففى الهاوية، ينزل الموتى، ويكون القصاص ، حيث السرور للأبرار، والويل للأشرار.

كما أن تسليم الروح ذاته يختلف بين الأبرار والأشرار.

فروح الأبرار تخرج فى سهولة ويسر كما حدث مع ابراهيم عليه السلام (سفر التكوين ٨:٢٥) واسحق (سفر التكوين ٢٩:٣٥) ويعقوب (سفر التكوين ٣٣:٤٩) وهارون (سفر العدد ٢٨:٢٠) وموسى (سفر التثنية ٣٤: ٥) ويشوع (سفر يشوع ٢٩:٢٤).

وروح الاشرار والفجار تخرج فى جو مختلف تماما عما سبق، وعلى نحو

مادكر فى كثير من النصوص(١)

وإذا كنا لا نجد تفاصيل حياة البرزخ فى نصوص العهد القديم، فإن فى التلمود مايسد هذا النقص، حيث يقص علينا مايحدث لروح اليهودى بعد الموت.

ويبدو أن اليهود على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يؤمنون بعذاب القبر لما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها" أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر، فقال: " نعم عذاب القبر"، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ،صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر" زاد غندر: " عذاب القبر حق"(٢).

وقد علق ابن كثير فى تفسيره بعد أن أورد حديث عائشة ومادار بينها وبين اليهودية عن عذاب القبر، واقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لما ذكرته اليهودية لعائشة من عذاب القبر فقال: " فهذا يدل على أنه بادر صلى الله عليه وسلم إلى تصديق اليهودية فى هذا الخبر وقرها عليه"(٣)

أما عن حياة البرزخ فى التصور النصرانى فقد تكون أكثر وضوحا مما عند اليهود وان اختلفت آراء المذاهب النصرانية فى ذلك.

١- انظر سفر حزقيال ٣:١٩، أيوب ١٨: ١١-١٥، ٢٧:١٩

٢- احمد بن على بن حجر العسقلانى، فتح البارى، ج٣، دار الفكر، ص٢٣٢، حديث رقم ١٣٧٢.

٣- ورد ذلك فى تفسيره للآية الكريمة " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب" لمؤمنون

انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٩، ص٨٢

فـالارثوذكس والبـروتسـانت يقـدمـون الأدلة من النصـوص على حـالة الأبرار بعد الموت، فقد جاء فى العهد الجديد:

"فـقـال له (للص الذى صلب مكانه) يسـوع الحق أقـول لك أنك اليـوم تكون معى فى الفردوس" (انجيل لوقا ٢٣:٤٣).

وفى رسالة بولس إلى أهل فيلبى، قال بولس عند موته:

"لى اشتهاء أن أنطق وأكون مع المسيح " (رسالة فيلبى ١:٢٣)

وفى رؤيا يوحنا اللاهوتى جاء مايلى:

"وسمعت صوتا من السماء قائلا لى أكتب طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن. نعم يقول الروح لكى يستريحوا من أتعابهم وأعمـالهم تتبعهم" (١٤:١٣)

فهذه النصوص تفيد أن هؤلاء الأموات الأبرار فى الفردوس ومع المسيح وسعـداء، وقد اعـتبر هذا الفريق من النصارى أن تلك حـالة أرواح الأبرار بعد الموت.

أما حال الأشرار، فهناك نصوص قليلة تشير بصورة ما إلى أوضاعهم منها:

"كـان إنسـان غنى وكـان يلبس الأرجـوان والبـز وهو يتنعم كل يوم مترفـهـا. وكان مسكين اسمه لعازر الذى طرح عند بابه مضروبا بالقروح. ويشتهى أن يشبع من الفتات السـاقط من مائدة الغنى. بل كـانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه. فـمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم. ومات الغنى أيضا ودفن. فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعـازر فى حضنه.فنادى وقـال يا أبى ابراهيم ارحـمنى وارسل لعـازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لسـانى لانى معـذب فى هذا اللهيب. فقال ابراهيم يا ابنى اذكر انك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك

لعازر البلايا. والآن هو يتعزى وانت تتعذب. وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت حتى ان الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا. فقال أسألك اذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبى. لانى لى خمسة أخوة حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضا إلى موضع العذاب هذا" (انجيل لوقا ١٦ :١٩ -٢٩)

ومن هذه النصوص أيضا:

"يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين" (رسالة بطرس الثانية ٢:٩).

فالنص الأول يصف بالتفصيل تجربة مريرة يخوضها الأشرار بعد الموت حيث العذاب فى اللهيب، والعطش القاتل، والبعد السحيق عن مكان الأبرار، والنص الثانى يثبت انقاذ الله للاتقياء والأثمة من هذه التجربة المريرة.

تقول الإنجيلية م. باسيليا شلينك فى وصف حالة الانسان عند الموت ومابعده:

"... وانها الحقيقة مرعبة أيضا، إن العالم الآخر يقترب منا فى ساعة الموت: أما الملائكة تدخل غرفة الانسان المحتضر، ومحضر الله يكون واقعيا، حتى اننا لا نجسر أن نرفع أصواتنا، أو أن الأرواح الشريرة تملأ المكان، لتشعرنا بالرهبة، والرعب البالغ. وهكذا تنظر تلك الأرواح الشريرة بافتخار وزهو إلى رعاياها الذين عايشوا طيلة العمر، فى حياة الخطية، خادمين الشيطان وتنتظر اللحظة التى يهجمون على ضحاياهم ليسوقوهم إلى مملكة الرعب والعذاب...

إن أرواح العالم الآخر، الملائكة أو الشياطين، سوف تأتى إلينا ساعة الموت. هذا نراه من قصة لعازر المسكين الذى مات وحملته الملائكة إلى

الفردوس، إلى حضن إبراهيم (لوقا ١٦:٢٢).أما كون مسكننا فى العالم الآخر يتحدد فى ساعة الموت، وليس فى اليوم الأخير، وأن اليوم الأخير هو تصديق على الحكم التمهيدى الذى يصدر فى الموت، فهو واضح من كلمات يسوع للص الذى إلى اليمين " اليوم تكون معى فى الفردوس (لوقا ٢٣:٤٣)(١).

ويقول أحد مؤرخى الأقباط:

"إن الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها عن أجسادها، بل تأخذ عربونا فقط من السعادة إذا كانت صالحة، أو من التعاسة إذا كانت طالحة، حتى يجيىء يوم القيمة، فتلبس الأرواح أجسادها"(٢).

ويتفق البروتستانت مع الأرثوذكس فيما عرضناه، أما الكاثوليك فيرون أن هناك محكمة خاصة للأفراد النصارى بعد الموت، يتحدد بعدها المصير اما إلى السماء إذا كانت صالحة، واما إلى المطهر إن كانت طالحة. والمطهر مكان يتطهر فيه الفرد من ذنوبه وآثامه عن طريق حرمانه المؤقت من التمتع بمشاهدة وجه الله الكريم وعن طريق عذاب النار الذى تتطهر فيه النفوس من ادرانها قبل أن تصعد إلى السماء(٣) ولا نجد لهؤلاء من دليل نصى على مازعموه ، ولكننا نستخلص مما سبق اجماع النصارى على أن مصير الأبرار فى السماء، ومصير الفجار فى الجحيم.

١- م . باسيليا شلينك، المرجع السابق، ص ٢٦ -٢٧

٢- زكى شنودة، تاريخ الأقباط، ص٢٥٢، نقلا عن فرج الله عبدالبارى، المرجع السابق، ص ٩٣.

٣- فرج الله عبدالبارى، المرجع السابق، ص ٩٤ - ٩٦.

وماذا بعد عن البعث والنشور واليوم الآخر فى العقيدة اليهودية؟!

يعتقد القراؤن[1] فى اليوم الآخر وهو يوم البعث والنشور. يقول المرشد الأمين فى هذا المعتقد:

"بما أننا ذهبنا فى معتقداتنا إلى هذا الحد فلابد وأن نعتقد باليوم الآخر وهو يوم البعث والنشور أعنى اعادة الموتى إلى الحياة وبإعادة أرواحهم إليهم بعد اخراجهم من قبورهم وعودة الأجسام إلى ماكانت عليها سواء كانت فى بطون الأرض أو بقاع البحار فهذا اليوم هو يوم الحساب يحاسب الإنسان على ماقدمت يداه من خير أو شر أو معصية فمن كان عمله صالحا نقل بإذن الله إلى دار النعيم لينال ماتشتهيه الأنفس من الفوز العظيم مقرونا بإجلال وإكرام ويكون من الخالدين فى هذه الدار أما من كان عمله سيئا نقل إلى دار العقاب لينال الذل والعذاب والآلام بما يستحق عقابا ليس له نظير دائما وبلا انقطاع حتى يعفو الله عنه وهو الرحمن الرحيم إن كان يستحق العفو وقد اشير إلى ذلك فى مزمور ١١ اية ٥، ٦ بما يأتى:- إن الرب يمتحن التقى ونفسه تبغض محب الظلم فهو يمطر على على الأشرار نارا وكبريتا وريح السموم تصيبهم جزاء لهم.

وقد قال عن الصالحين شتان مابين الصالح والشرير، كما بين العابد وغير العابد (ملاخى ٣ آية ١٨)

"وسترون فى يوم مابين الصالح والشرير، وبين من عبد الله وبين من

١- القراؤن طائفة يهودية نشأت فى بغداد فى الربع الأول من القرن الثامن الميلادى ويسمون أيضا بابناء أو أصحاب المقرا والعنانيين نسبة إلى مؤسسها عنان بن داود الذى قام بتأسيس هذه الطائفة بعد أن التقى بالامام أبى حنيفة النعمان فى السجن، ولذلك تأثرت هذه الطائفة بالاسلام فى عقيدتها وفقها وعباداتها إلى حد كبير، وهى تؤمن بالعهد القديم فقط وترفض التلمود المقدس عند سائر اليهود رفضا تاما.

لمزيد من التفاصيل انظر كتابنا" التأثير الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٢.

كان لم يعبده" فنسأل الله تعالى العفو والرحمة والمغفرة فى الدنيا والآخرة.

وبما أن الموت علينا حق ولكل أجل كتاب، فكل شيء لابد وأن يرد لاصله بإذن الله وذلك من قوله "والى التراب تعود" (تكوين ٣ آية ١٩) وكما جاءت الآية: " فيرد التراب إلى الأرض مصدره كما كان، وترد الروح إلى الله الذى خلقها" (الجامعة ١٢ آية ٧).

وبما أن يوم البعث والنشور حق، فيجب علينا حينئذ الاعتقاد بصحته كما جاء فى جملة مواضع منها مثلا ما جاء (فى دانيال ١٢ آية ٢) حيث يقول: " وكثير من النائمين فى الثرى يستيقظون منهم إلى النعيم الأبدى، ومنهم إلى الحجيم الأزلى" (١).

والنص السابق يستوقفنا قليلا لتوضيح بعض ماجاء فيه على ضوء المعتقدات اليهودية العامة واستنادا إلى ماجاء فى توراتهم حول قضايا الموت والبعث والحساب.

قضية البعث فى العقيدة اليهودية:

فاسفار موسى الخمسة أو ما يسمونها بالتوراة خالية تماما من الحديث عن البعث والثواب والعقاب، ولا يمكن لنا أن نجد منذ بدء الخليقة فى سفر التكوين وحتى آخر عهد موسى فى الخروج اشارة واضحة إلى حياة الموت"

وقد وجه اعتراض على خلو الأسفار الخمسة مما يفيد الإيمان بالبعث والثواب والعقاب مما يفيد بعد التوراة عن المصدر الإلهى النقى، وأجاب

١- يوسف ابراهام يسوب ودافيد زكى ليشع، المرشد الأمين، د.ق، د. ت. ص١١

ابن كمونة[١] احد أحبار اليهود وعلمائهم معللا ذلك بأنه أمر لا ضرر فيه "فالأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها ولا السؤال عنها بل ربما يكون لحكمة لا نعرفها".

ثم يسوق ابن كمونة من التبريرات مايمكن إجماله فى أن سبب عدم ذكر البعث والثواب والعقاب فى الأسفار الخمسة إنما يرجع إلى أن بنى سرائيل كانوا عل علم بهذه الأمور قبل بعثة موس عليه السلام ومن ثم لم يكونوا بحاجة إلى تكرار الحديث عنها، وإن اليهود إنما يقرون ويعتقدون بذلك وقد تناقلوه خلفا عن السلف.

ومما يفند ذلك الزعم أن التوراة الموجودة بأيدى السامريين تشمل النص على يوم القيامة نصا صريحا لا لبس فيه، بينما النص الذى يعتد به البعض فى سفر التثنية وهو " لى لنقمة والجزاء فى وقت تزل قدامهم" فهو يحتمل أن يكون الجزاء فى الدنيا.

أما الاشارات الواردة فى أسفار الأنبياء عن البعث فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن المراد بها البعث القومى لليهود وعودة دولتهم، حتى أولئك الذين قالوا بأن المقصود منها البعث الأخروى ردوا ذلك إلى تأثير الديانة الفارسية والبابلية بعد الأسر البابلى [٢].

فمن النصوص الواردة فى أسفار الأنبياء فيما يتعلق بالبعث ماجاء فى

١- صديق منصور بن كمونة اليهودى، تنقيح الابحاث فى الملل الثلاث، دار الاتصال، ص. ع، نقلا عن: فرج الله عبدالبارى، المرجع السابق، ص ١٤١

فرج الله عبد البارى، المرجع السابق، ص ١٤٩

سفر اشعيا:

"تحيا امواتك، تقوم الجثث، استيقظوا ترنموا ياسكان التراب لأن طلك طل كل أعشابك والأرض تسقط الأخيلة" ٢٦:١٩.

وقد جاء في السنن القريم في تفسير العهد القديم مايلي:

"الرب قال لشعب اليهود (تحيا أمواتك) كانت اليهود في بابل مدة السبي في الذل، فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات، فقال لهم الرب: انهم سيرجعون إلى بلادهم فتقوم أمة اليهود ثانية، أي الكلام هنا في موت الأمة السياسي وقيامهم للحياة كأمة جديدة "ياسكان الأرض" أن الرب دعا هنا المذلين والحزاني إلى الفرح والتسابيح لأنه سيخلفهم (طل اعشاب) شبه اليهود بعشب قد يبس من عدم الرطوبة ثم نزل عليه المطر أي نعمة الله فانتعش (تسقط الأخيلة) معنى هذه الجملة كمعنى الجملة في أول الآية (تحيا أمواتك) أي اشارة إلى قيامه أمة اليهود السياسية"[1].

وهذا تفسير آخر لما جاء في سفر اشعيا يقول فيه صاحبه:

"تحيا أمواتك تقوم الجثث" هذا بالمقابلة مع الأعداء الذين قال عنهم أنهم أموات لا يحيون لكن هنا يقول (تحيا أمواتك). عجيب أن ينسب أموات للرب" هل هو اله أموات؟ انه إله أحياء لا إله أموات. هؤلاء الأموات كانوا شعبه فهو لا ينكر علاقته، بهم وهم أموات لكنه سيقيمهم . لقد ماتوا روحيا وصاروا عظاما ميتة ولكنهم أمواته وعارفهم وسيقيمهم أي يرجعهم إلى أرضهم كأمة. فالحياة من الموت هنا كناية عن نهضة قومية ورجوع روحي معا[2].

---

(١)- فرج الله عبدالباري، المرجع السابق، ص ١٤٧

(٢)- ناشد حنا، اشعيا مفصلا آية آية، ج١ القاهرة، ١٩٨٢، ص٢٤٤

وحتى لو سلمنا أن النصين السابقين يشيران إلى البعث الأخروى - وهذا مافهمناه منهما - فإن اليهود والنصارى قد فهموا منه بعثا قوميا، الأمر الذى يؤكد أن مفهوم البعث الأخروى ليس أصيلا فى الفكر الدينى اليهودى.

وفى معظم المواضع التى ذكر فيها البعث يصر شراح ومفسرو العهد القديم على أن المقصود منه هو النهضة القومية.

ففى تفسير ماجاء فى حزقيال ٣٧:١٢: " هأنذا افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم ياشعبى وآتى بكم إلى أرض اسرائيل" يقول ناشد حنا فى تفسيره لها: هذه ليست قيامة أموات لكنها تشبيه لانهاض من الأمة وارجاعها، فى مثل الإبن الضال قال الأب " ابنى هذا كان ميتا فعاش " هل كان ميتا حقيقة؟ كلا فهذا تشبيه [١].

حتى عندما فسر البعض ماجاء فى دنيال ١٢:٢ "وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى حياة أبدية وأولئك إلى العار للإزدراء الأبدى" على أن المقصود منها قيامة أموات حرفية وجدنا من يسارع بانكارها ليعلن أن "المقصود هنا بالراقدين فى تراب الأرض اليهود المشتتون الآن سيجمعهم البعض. بعضهم يرجع رجوعا قوميا فقط كالذين فى دولة اسرائيل الآن، والبعض يرجعون قوميا وروحيا فهؤلاء للحياة الأبدية أى الملك الألفى"[٢].

فلو كانت القيامة، وكان البعث أمرا مسلما به بين المؤمنين بالعهد

٢- المرجع السابق، ص ٢٤٥

٣- المرجع السابق.

القديم، ماوجدنا اختلافا بيناً حوله على النحو الذى سقناه آنفا، وعلى نحو ماورد فى العديد من تفاسير وشروح العهد القديم مما يطول الحديث فيه"[1].

وقد فهم بعض فلاسفة اليهود ممن عاشوا فى البيئة الاسلامية مثل سعديا الفيومى حقيقة البعث والقيامة، ونرجح أنه وقع بتأثير اسلامى حيث يقول فى كتابه الأمانات والاعتقادات:

"إن احياء الموتى الذى عرفنا ربنا أنه يكون فى الدار الآخرة للمجازاة فذلك مما امتنا مجمعون عليه"[2].

"إن مدة مقامها متفرقة تكون إلى أن تجتمع جميع النفوس التى أوجبت الحكمة من البارىء خلقها وذلك يكون إلى آخر مقام الدنيا، فماذا تم عددها واجتمعت، جمع بين النفوس وأجسامها[3].

وكذلك رأينا موسى بن ميمون يقرر أن البعث والقيامة من الأموات من أركان الإيمان اليهودى فهو يقول: "أنا أؤمن إيمانا كاملا بقيامة الموتى، فى الوقت الذى تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن، وإلى أن الأبدين" وقد أقر بعض الباحثين تأثر ابن ميمون فى تلك العقيدة بما عند المسلمين" [4].

١- انظر على سبيل المثال: رشاد فكرى، تفسير حزقيال ، ص٣٢١ - ٣٢٢، قاموس الكتاب المقدس، ص٧٤٩ نقلا عن فرج الله عبد البارى، المرجع السابق، ص١٥١

٢- الامانات والاعتقادات، ص٢٠٧

٣- المرجع السابق

٤-محمد حسن ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى، اطواره ومذاهبه، ص١٥٧ -١٥٩

وهناك من فرق اليهود من يقر بالآخرة والثواب والعقاب كالكوستانية[1] والقرائية ومنهم من ينكر هذه القضايا تماما كالصدوقيين[2].

قضية الحساب:

لم يرد فى التوراة مايشير إلى قضية الحساب على نحو ماذكر عند القرائين ، إلا أن علماء اليهود يقرون ان الله هو الديان والمحاسب يوم القيامة بناء على ماورد فى التلمود ، وسبق وان أشرنا إلى نص التثنية القائل بأن الله هو المجازى وان هذا النص مختلف حوله، فلا يعرف يقينا ان كان الجزاء فى الدنيا ام الآخرة.

وفى نفس الوقت نجد التوراة السامرية تصرح بوضوح أن الله هو الذى يتولى الحساب والجزاء إذ جاء فيها:

"أليس هو مجموعا عندى فى خزائنى إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت تزل اقدامهم إذ قريب يوم تعنتهم، وتسرع المستعدات اليهم ، إذ يدين الله وعن عبدة يصفح"[3].

ويرتبط بالحساب قضية أخرى هى الإيمان بالجنة والنار. وعند الحديث عن الجنة فى العهد القديم لم نجد ثمة اشارة إلى أنها المكان الذى أعد للصالحين، كما لم نجد وصفا للنار وانما جاءت تفاصيل أوصاف الجنة والنار

١- الشهر ستانى، الملل ،النحل، تحقيق محمد سيد كيلانى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر ١٩٧٦، ج١، ص١٨، ٢١٩.

٢- محمد حسن ظاظا ، المرجع السابق، ص ١٥٩، عبدالمنعم الحنفى، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، بيروت، ج ١، ١٩٨٣، ص١٣٥

٣-سفر التثنية ٣٤ : ٣٦.

فى التلمود، الأمر الذى يجعلنا نعجب من عدم تـ ـول الكتاب المقدس، أساس الإيمان اليهودى، لمثل هذه القضايا الايمانية الهامة.

وإذا انتقلنا إلى الفريق الثانى من أهل الكتاب، وأعنى به النصارى، وجدنا تضاربا - كالمعتاد فى الأمور العقيدية - وتناقضا واضحا فى تفسير النصوص.

ونسوق أولا تلك النصوص المقدسة التى تشير إلى البعث فى العهد الجديد لنناقش مضمونها فيما بعد حسب مفهوم أصحابها لها.

"وأما من جهة قيامة الأموات أفما رأيتم ماقيل لكم من قبل الله القائل، أنا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ليس الله اله اموات بل اله احياء. فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه" (انجيل متى ٢٤ : ٣١ - ٣٣).

"الحق الحق أقول لكم انه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون(انجيليوحنا ٥:٢٥).

"ولكن ان كان المسيح يكرز به انه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم ان ليس قيامة أموات. فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام. وان لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا ايمانكم..."

(رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ١٢ - ١٤)

"قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلق جسدك كله فى جهنم". (انجيل متى ٥: ٢٧ - ٢٩)

"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات

إلا أبى وحده " (انجيل متى ٢٤: ٢٦).

"هو ذاسر أقوله لكم. لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير. فى لحظة فى طرفه عين عند البوق الأخير. فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير" (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ : ٥ - ٥٢)

"وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ان الانسان آتٍ على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها"(انجيل متى ٢٤: ٢٩ -٣١).

"لا تتعجبوا من هذا. فانه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامه الدينونة" (انجيل يوحنا ٥:٢٦ -٢٧)

ومن النصوص السابقة - وغيرها كثير - نستخلص مايلى:

١- هناك قيامة للأموات ، ومن أنكرها فقد بطل إيمانه.

٢- هناك نعيم وجحيم للأبرار والأشرار.

٣- لا أحد يعلم متى الساعة، ولا المسيح ذاته. ولا نعلم كيف يكون المسيح الها ولا يعلم موعد الساعة ؟!

٤- للبعث مقدمات كالنفخ فى البوق واضطراب الظواهر الكونية

وهناك رؤيا ليوحنا اللاهوتى تقص علينا بالتفضيل مجىء المسيح الدجال وأفعاله وكيف يقضى عليه، كما ترسم لنا هذه الرؤيا بعض أوصاف هذا المسيح الدجال ، وفى هذا كله نجد اتفاقا كبيرا مع ماورد فى السنة الشريفة عن هذا المسيح.

ومع أن النصوص السابقة واضحة تماما فى إشاراتها لوقوع القيامة وبعث الأموات ومايسبق هذا البعث من علامات، فهناك من النصارى من لا يقر ببعث الجسد مع الروح، ويرى أن هذه النصوص خاصة ببعث الأرواح فقط ويعتمد هؤلاء مع ماجاء فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، وهى نفس الرسالة التى تقر قيامة الأموات، نراها فى أصحاح واحد تتراجع وتصرح بأن القيامة المعنية قيامة روحانية وليست جسدية.

"يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحانيا" (١٥:٤٤).

هذه الفقرة، أدخلت اللبس فى نفوس النصارى وجعلتهم فريقين، أحدهما يرى ماتراه سائر الاشارات من القيامة الجسدية والبعث الجسدى، والثانى يستند إلى هذه الفقرة زاعما أن البعث إنما هو بعث روحانى وحسب.

أما تفاصيل الجنة والنار فهى قليلة ونادرة ، فمما جاء فى الجنة مثلا:

"مالم ترعين ولم تسمع به اذن، ولم يخطر على بال انسان، ماأعده الله للذين يحبونه" (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٢:٩).

ولوجمعنا ماورد عن البعث وعلاماته وعن القيامة وأهوالها، وعن الجنة والنار فى النصوص النصرانية المقدسة ، ماعادل ذلك سورة أو سورتين من السور القرآنية التى قدمت لنا الكثير والكثير من تفاصيل هذه الحقائق الإيمانية بكلمات موجزة، وبلاغة لاتضارع. فسور مثل الانشاق والتكوير والانفطار والمطففين تقدم لنا تصورا كاملا غير منقوص لهذه القضايا، كما تقدم للحائرين اجابات لما يدور فى أذهانهم من تساؤلات حول مصير

المؤمنين ومصير الكافرين(١).

إن النصوص اليهودية والنصرانية المقدسة مازالت عاجزة عن تقديم تصور شامل لحقائق وقضايا هامة بالنسبة لعقيدة أصحابها، وليس من المعقول أن لا تحظى مثل هذه القضايا بالاهتمام الإلهى فى الوقت الذى الذى تفرد فيه صفحات وصفحات فى وصف ملابس الكهنة وأطعمة الرب.

إن هناك أسفارا كاملة من الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى تتناول تقسيم الأراضى وتوزيع الانصبة ، فى الوقت الذى تشير - على نحو ماقدمنا - اشارات عابرة لهذه القضايا العقيدية، وبخاصة نصوص العهد القديم، الأمر الذى جعل شراح ومفسرى النصوص يختلفون فى أصول هذه القضايا لا فى تفاصيلها.

فما زال المؤمنون بالكتاب المقدس على خلاف حول القيامة والبعث والجزاء مما يجعلنا نتوقف كثيرا عن صدق هذه النصوص وصحتها ونسبتها.. والله أعلم.

١- تفاصيل أخرى عن اليوم الآخر عند النصارى فى

J. Paterson Smyth, The Gospel of the Hereafter, london

المصادر والمراجع

أولا: العربية:

القــــرآن الكريـــــم.

الكتـــاب المقـــدس

فهرس الموضوعات الكتابية، دار الثقافة، القاهرة، ط٣، د.ت.

قـاموس الكتـاب المقـدس، تأليف لجنة مـن علمـاء اللاهوت، ط٦، ١٩٨١.

ابن جرير الطبرى:

جامع البيان فى تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

ابن كثير

تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٩.

النهـاية فى الفتن والملاحم، تحقيق مـحمـد أحـمد عـبدالعـزيز، دار التـراث الاسلامى بالأزهر، د.ت.

ابن قيم الجوزية:

هداية الحيـارى فى أجوبة اليهـود والنصارى، دار الكتب العلميـة، بيروت، د.ت.

أبو الأعلى المودودى.

المصطلحات الأربعة فى القرآن، دار التراث العربى، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٦.

أبو الوفا المراغى.

فكرة التوحيد فى القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة كتب اسلامية، العدد ١٧٠، مايو ١٩٧٥.

أحمد ادريس

تاريخ الانجيل والكنيسة، دار حراء، مكة المكرمة، ١٩٨٧.

أحمد بهجت.

الله فى العقيدة الاسلامية، المختار الاسلامى، القاهرة، ١٩٧٦.

أحمد حجازى السقا.

نقد التوراة - أسفار موسى الخمسة.

مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٦

أحمد شلبى

اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٧٣

أحمد عبدالغفور عطار.

الاسلام، مكة المكرمة، ١٩٨٠

اسماعيل راجى الفاروقى.

ملخص محاضرات فى تاريخ الأديان، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة، مجلد ٢١، العدد الأول، مايو ١٩٥٩

حسن ظاظا:

الفكر الدينى اليهودى، اطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٨٧.

خليل يحيى نامى.

العرب قبل الاسلام، دار المعارف، ١٩٨٦.

سبتينو موسكاتى.

الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

سبينوزا ، باروخ
رسالة فى اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم حسن حنفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١
سهيل أديب.
التوراة بين الوثنية والتوحيد، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٠
سيجموند فرويد.
النبى موسى والتوحيد، ترجمة ودراسة عبدالمنعم الحفنى، دار الرشاد، القاهرة، ط١ ، ١٩٩١.
سيد قطب.
فى ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة ط٩، ١٩٨٠.
الشهستانى،
الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلانى، القاهرة، ١٩٨٦
عباس محمود العقاد.
الله، كتاب الهلال، العدد ٢٠٧، يونيه ١٩٦٨.
عبدالمنعم الحنفى
الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، بيروت، ١٩٨٣.
العسقلانى،
فتح البارى بشرح صحيح البخارى، المكتبة السلفية، د.ت.
غوستاف لوبون.
حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار احياء التراث العربى، بيروت، د.ت.

محمد عبدالله دراز.

الدين، دار القلم، ١٩٩٠.

محمد عبده،

رسالة التوحيد، دار الشعب، القاهرة، د.ت.

محمد عل الصابونى.

النبوة والانبياء، د.ن، ط٢، ١٩٨٠

محمد قطب:

دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، د.ت.

محمد متولى الشعراوى.

هذا هو الاسلام، كتاب الحرية رقم ١،ط٢، نوفمبر ١٩٨٥.

محمد الغزالى.

عقيدة المسلم، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٩٧٧.

مراد كامل وآخرون.

تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى الوقت الحاضر، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤.

موريس بوكانى،

القرآن الكريم والتوراة والانجيل، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ،دار المعارف، ١٩٧٩.

موسى بن ميمون القرطبى الاندلسى.

دلالة الحائرين، عارضة باصوله العربية والعبرية حسين آتاى ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. د.ت.

ناشدحنا.

اشعيا مفصلا آية آية، د.ن، القاهرة ،.١٩٨٢ .

نصر بين يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب

النصيحة الايمانية فى فضيحة الملة النصرانية، تقديم وتحقيق وتعليق محمد عبدالله الشرقاوى، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٩.

يس منصور.

التوراة فوق الفكر الحديث، د.ن، القاهرة، ١٩٨٩.

يوسف ابراهام ودافيد زكى ليشع

المرشد الأمين، د.ن، د.ت.

ثانيـــا : الأجنبيـــــة

Hendrik Willem Van Coon.
The Story of the Bible, London,1947

J., Paterson Smyth.
The Gospel of the Hereafter, London.

Norman, H.,Beynes.
Israel Amongst the Nations, London,1928

Robertson Smith,
The Prophets of Israel, London,1897.

W.O.E. Oeslerly and Theodore H.Robinson.
Hebrew Religion: Its Origin and Development,
London

كتب للمؤلف

١- مذبحة المخيمات، دار الناصر للنشر والتوزيع، الرياض ، ١٩٨٥.

٢- قضايا الأدب المقارن فى اطار الدراسات السامية، المركز القومى للدراسات العربية والاسلامية- فجر - الجيزة، ١٩٩٢.

٣- التأثير الاسلامى فى الفكر الدينى اليهودى، مكتبة مدبولى، ١٩٩٢.

٤- يهود الفلاشا، اصولهم - معتقداتهم - علاقاتهم باسرائيل، مكتبة مدبولى ١٩٩٢.

٥- اللغة العبرية: قواعد ونصوص، ١٩٩٢.

الفهرس

رقم الايداع ٨٨٤٨/٩٢
I.S.B.N.
977 - 5390 - 02 - 8